الباب الخامس

الدرس اللهجى الحديث

دراسة اللهجات:

تعد دراسة اللهجات dialectology[1] دراسة مهمة من الدراسات اللغوية فى العصر الحديث، وهى من فروع علم اللغة العام: Linguistics.

وقبل أواخر القرن التاسع عشر لم ينظر اللغويون الغربيون إلى دراسة اللهجات المتفرعة عن لغاتهم، بل حاولوا أن ينشروا بين الناس الاتجاه إلى الفصحى ونبذ العاميات لأن فى الفصحى ما يحافظ على كيانهم الحضارى والأدبى، فهم يحافظون على الفصحى من لغاتهم حتى يستطيعوا أن يحافظوا على وحدتهم الثقافية والقومية فإن تلك اللغات قد وعت لهم تاريخ أجيال وحضارات مضت ونقلتها إليهم بحيث يستطيعون فهمها ووعيها، فهم يتصلون بماضيهم، وحاضرهم ومستقبلهم، أما لو اتجه الناس إلى العاميات فسوف تصرفهم عن تراثهم وتمزق وحدتهم وتقضى على أملهم فى المستقبل ولذلك حذر العلماء هناك من استعمال العاميات وطلبوا من مجتمعاتهم أن يحافظوا على فصحاهم، بل حاولوا ـ ومعهم الحكام ـ ابتكار الطرق والوسائل التى تؤدى إلى منع انتشار العاميات، ومن ذلك أن الجمعية الوطنية الفرنسية عهدت عام ١٧٩٤م إلى الأب جريجوار بأن يضع تقريراً بين فيه الوسائل الناجعة للقضاء على اللهجات الشعبية ونشر اللغة الفصحى[2].

ولم يكن الاهتمام بالفصحى على هذا النحو وحده هو السبب فى إهمال دراسة اللهجات فى تللك الحقبة من التاريخ بل ساعد على ذلك عوامل أخرى أهمها:

---

(١) هو علم يدرس الظواهر والعوامل المختلفة المتعلقة بحدوث صور من الكلام فى لغة من اللغات، أو علم يدرس اللهجات باعتبارها أنظمة لغوية تنشأ أو تتفرع عن لغة أو لغات. انظر: المصطلحات العلمية والفنية لمجمع اللغة العربية بالقاهرة ٤/ ٩٣، ١٥/ ٢٢١.

(٢) علم اللغة د. وافى ص ٤٩.

١- توجه الدراسة إلى الفصحى وبيان خصائصها واتجاهاتها لأنها - مع غرض الحفاظ عليها ودوام استمرارها ـ معبدة الطرق واضحة المسار مستقرة النظم ممتدة عبر التاريخ بسمات يمكن تحديدها والنظر فى أمرها على العكس من اللهجات الشعبية التى يحتاج تحديد مسارها ونظمها وسماتها إلى دارسات دائبة وجهود يتجشمها الباحث فيها ويحتاج معها إلى أزمان طويلة لاستخلاص حقائقها وما يتعلق بها من دراسة الأحوال الاجتماعية والثقافية والبيئية للشعوب.

٢- العلماء -آنذال- كانوا يحبون الدعة والهدوء ودراسة الفصحى توفر لهم ذلك لأن سماتها واضحة معلومة لا تستدعى الأسفار ولا مشقات الانتقال.

أما اللهجات فتحتاج ـ لتتبع خصائصها والتعرف على ظواهرها - إلى تنقل وترحال لملاقاة أربابها فى بيئتهم دنت أو نأت، سهلت أو صعبت، مع ما يصحب ذلك من عناء السفر والرحلات الشاقة.

ولكنها ـ يوما ما ـ فرضت نفسها عليهم وجذبتهم - إن طوعًا وإن كرهًا ـ إلى دراستها وتتبع مناحيها، لأن التطور سنة الحياة، وما فى الكون ـ بشتى ألوانه ـ يتطور، فاللغة لا تخرج عن سنن الكائنات فى هذا الشأن فكما يتطور كل شىء تتطور اللغة.

ولذا ـ على الرغم من محاولات الغربيين أن يمنعوا زحفها ـ وجدنا سيلها يتدفق فى كل مكان، ورأينا انشعاب اللغات الفصحى إلى عديد من اللهجات الشعبية تبعًا لسنة الطبيعة وعوامل الاجتماع ـ فى الداخل والخارج ـ فلم يستطيعوا أن يحسروا الموجات المتتابعة منها فاضطروا إلى التسليم بالأمر الواقع والاتجاه إلى تلك اللهجات الناشئة حتى يعرفوا خط سيرها فبدأوا فى أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين فى الاهتمام بتلك اللهجات ودراستها.

وكما اهتم الفرنسيون ـ وجمعيتهم الوطنية ـ بمحاربة تلك اللهجات ـ أول الأمر - اهتموا أيضًا - بعد أن علموا كغيرهم عدم جدوى محاولاتهم ـ بدراستها، وظهر ذلك واضحًا فى إنشاء شعبة خاصة لدراسة اللهجات الشعبية فى معهد الدارسات العليا بفرنسا على يد أول مهتم فرنسى بها وهو (جاستون باريس) ونهضت دراستها على يد طائفة من العلماء الفرنسيين منهم تورتولون وبرنجييه وأنطوان توماس وألبرت دوزا.

وكذلك على يد غير الفرنسيين كالعالمين الإيطاليين كورنو وأسكولى، ومن أشهر المشتغلين بتلك الدراسة الأب روسلو الذى اهتم بالناحية الصوتية فى اللهجات وجيليرون الذى درس اللهجات من ناحيتها الدلالية.

وقد استعانت هذه الدراسة بكل الوسائل العلمية الحديثة حتى استطاعت أن تضع قوانين لحياة اللغات وما يعرض لها من انقسام إلى لهجات وأسباب ذلك ونتائجه. فاللغات قد تحيا نتيجة لاستمرار بقائها فى الاستعمال على ألسنة أهلها، وقد تموت لانقراضها من الاستعمال أو تغيرها واضمحلالها، وليس معنى موت اللغة أن يقضى عليها نهائياً بحيث لا يبقى لها أثر لأنها - عندما تموت - تكون قد تركت آثارا فى خليفاتها كما يقول الدكتور السعران:

«إن اللغة اللاتينية لم تمت فى الحقيقة من الناحية التاريخية بل أصابتها تغيرات عميقة أنتجت أشكالاً حديثة لها أبرزها: البرتغالية والقشتالية ولغة قطالونيا ولغة بروفانس والفرنسية والإيطالية ولغة رومانيا والأسبانية، وقد بلغ من شدة هذه التغيرات وعمقها أنا نحس إذا نظرنا إلى الأشكال الحديثة للاتينية بأنها لغات مختلفة»[1].

ووصل العلماء ـ فى أمر التوحيد والانقسام ـ إلى نتائج ذات قيمة علمية كبيرة، فاللغات ـ متأثرة بحتمية العوامل الطبيعية والاجتماعية والثقافية ـ تميل إلى الانقسام أكثر من التوحد وهذا رأى بعض اللغويين، وهو اتجاه تؤيده الدلائل الواقعية، فاللغات ـ منذ آدم عليه السلام ـ يتوالى عليها الانقسام بعد التوحد، وهى على هذه الحال فى شتى بقاع الأرض إلى اليوم، ولم تستمر ـ حتى الآن ـ لغة واحدة على طبيعتها دون تفرق إلى لهجات.

بيد أن (يسبرسن) يرى أن القوى الموحدة كانت فى العصور التاريخية أقوى - فى حقيقة الأمر - من القوى المقسمة[2] ويستدل لذلك بكثرة المتكلمين بكل لغة فى الأزمان الحاضرة عنها فى الأزمان الماضية.

(١) اللغة والمجتمع د. محمود السعران ص ١٦٧، ١٦٩.

(٢) المصدر السابق ص ١٨٠.

ولكن الرأى الأول تسانده ظواهر اللغات العالمية - دون ريب - وكثرة عدد المتكلمين لا يعنى توحد اللغة، فهذا قد يحدث مع تشعبها وانقسامها فكيف توصف بالتوحد مع الانقسام؟

وقد حدد العلماء الأسس التى تؤدى إلى ظهور لغة عامة وإلى استمرار التوحد اللغوى لأمة اكتملت لها تلك الأسس كالاتصال والاختلاط بين المتكلمين وشيوع الأدب والثقافة بعناصرها المتعددة. وما يصحب ذلك من حالات اجتماعية وسياسية واقتصادية وعسكرية وإعلامية.

واللغات قد تنتشر فى مساحات واسعة من الأرض وقد تبقى فى حيز ضيق من الوجود وربما توسط حالها كل ذلك يخضع لعوامل الانتشار والتعثر وعدم الانطلاق فمع أهلها تدخل أراضى جديدة وتتصارع مع لغات جديدة، نتيجة الغزو والاستعمار أو مع زيادة الناطقين بها زيادة طبيعية عن طريق النمو وذلك قد يدعو إلى انقسامها وقد تساعد على ذلك عوامل أخرى اجتماعية وسياسية ثقافية ونفسية وفسيولوجية وجغرافية فلا ريب أن الجماعات المختلفة على هذا النحو تختلف لغاتها بل تنقسم إذا كانت واحدة ثم اختلفت عليها هذه العوامل، بل إن الإقليم الواحد كجمهورية مصر العربية تنقسم فيه لغة المحادثة إلى ألوان شتى من اللهجات المحلية لاختلاف البيئات - نسبياً - بين أهلها فى مدنها وقراها فنحن نستطيع أن نلمس هذه الفروق من سيرنا فى تلك الأماكن فمن مدينة إلى أخرى ومن قرية إلى أخرى نلمح مظاهر هذا الاختلاف بين اللهجات، فعلى حين ينطق بعضهم (يقول) ينطقها آخرون (يئول) وآخرون (يجول) وكان بعضهم يعبر عن السيارة بكلمة (كومبيل) وبعضهم (أتومبيل) وبعض ثالث (ترمبيل) والآن بعضهم يقول سيارة وبعضهم عربية وساقية المياه يسميها بعضهم (تابوت) وبعضهم (طبلية) وبعضهم (حلزونة) وبعضهم (حلوفة)، وهكذا تختلف وتتنوع وتتغير من وقت لآخر على حين تبقى مع ذلك اللغة العامة مفهومة للجميع ومستعملة فى الكتابة والأمور الرسمية كلغة قومية وهى - عندنا - العربية الفصحى التى تربط بين الأمة العربية فى شتى أقطارها.

والملاحظ أن لكل بيئة لهجاتها الخاصة التى تنبع من حياتها والمؤثرات عليها فهناك لهجات خاصة تبعًا للطبقات المتعددة فلهجة للأرستقراطيين وأخرى للزراعيين وثالثة للتجاريين ورابعة للبحريين، وخامسة لأرباب الصناعات والمهندسين وسادسة للرياضيين وغير ذلك من ألوان اللهجات التى تناسب كل الفئات الاجتماعية ولذا يطلق علماء اللغة المحدثون على هذا اللون اللهجى اسم (اللهجات الاجتماعية) وأهم تلك اللهجات ما يسمونه: (اللهجات الحرفية)[1].

ويرى بعض علماء الأنتوجرافيا أن لهجات هذا النوع ترتجل ارتجالاً ويتفق عليها من أفراد الجماعة المتكلمة بها ولكن الرأى السديد هو أنها تخضع لعوامل النشأة الاجتماعية والبيئة التى تحياها تلك الطوائف مع تسليمنا بأنه ربما نشأ اصطلاح أو أكثر عن طريق الاختراع ثم شاع استعماله بالتقليد ولكن هذا ليس ظاهرة عامة.

كل ذلك الانقسام واختلاف اللغات واللهجات قد خضع لعوامل كانت الدراسة الغربية فاتحة له وممهدة طريقه وواضعة أسسه العامة والخاصة حتى أصبحت له قوانين العلم التى طبقت ـ قديمًا ـ على اللغات الهندية الأوربية وانقساماتها إلى طوائف لغوية كبيرة[2] وعلى اللاتينية ـ إحدى لغات الفرع الإيطالى من هذه المجموعة اللغوية ـ فقد انشعبت إلى عدة فروع لهجية - فى أواخر العصور الوسطى ـ هى: الفرنسية والإيطالية والأسبانية والبرتغالية ولغة رومانيا[3].

وعوامل تكوين اللغة العامة برزت فى دراساتهم ـ أيضًا - فقد لوحظ أن التغيرات الفردية لا تؤثر تأثيراً فعالاً فى هذا المجال، بل الاعتماد على العوامل الاجتماعية متضافرة، فقد كانوا ـ كما ذكر الدكتور السعران ـ يفهمون قديمًا «أن الإيطالية قد كونها دانتى والإنجليزية كونها تشوسر والألمانية كونها لوثر والدينمركية كونها كريستيرن بدرسن فأظهر البحث أن كل لغة من هذه كانت مكونة قبل أن

(١) علم اللغة د. وافى ص ١٧٣، ١٧٦ واللغة لفندريس ص ٣١٥، ٤٢٧، ٤٢٨.

(٢) لها طوائف ثمان. انظر علم اللغة د. وافى ص ١٨٠ وما بعدها.

(٣) المصدر السابق ص ١٦٠، ١٦١.

يخط هؤلاءحرفًا»[1] كما أن الانقسام إلى لهجات شعبية ومحلية كانت له مبادئ وقوانين عمل الغربيون على إثبات وجودها وتأكيدها بالأدلة السليمة النابعة من التجارب ودراسة الوقائع اللغوية التى تؤكد صحة النتائج.

وقد وصلوا من ذلك إلى تحديد عوامل الخلاف التى تحدث فى صراع اللغات واللهجات وما يعتريها من تشعيب، فقد يكون كثيرًا من الناحية الصوتية ثم يكون - أيضًا - من الناحية الدلالية، أما ناحية القواعد فإنها تكون قليلة وبطيئة التغير عادة.

وإننا نلاحظ ذلك فى لغتنا العربية فالخلاف كبير بين اللهجات الفصحى التى كانت فى الجزيرة مثل العنعنة والفحفحة والاستنطاء وغير ذلك وبعض الألفاظ قد اختلفت دلالتها كما فى وثب عند حمير بمعنى جلس وعند غيرهم من عرب الشمال بمعنى قفز، والسدفة - فى لهجة تميم - الظلمة، وفى لهجة قيس: الضوء[2].

أما الخلاف فى القواعد - كالبنية والاشتقاق والجمع والتأنيث والنسب والتصغير وتكوين الجمل - فهو قليل وهكذا فى اللهجات العربية الحديثة.

وقد ظهر من ملاحظة تلك العوامل وظواهر الانقسام ودراسات المحدثين من الغربيين ومن تابعهم أن تكوين لغة عالمية أمر بعيد المنال، فما دام البشر مختلفين فى طبيعة بيئاتهم وأجسامهم وثقافاتهم والعوامل التى تتغلب عليهم فلا يمكن اتحاد لغاتهم لأنها سوف تخضع لتلك العوامل وتتأثر بها فمهما تكن واحدة فى أول أمرها فسوف يعروها الانقسام وصدق الله إذ يقول: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ﴾ [الروم: ٢٢].

واللغوى الحديث يدرس اللغة من وجهين:

١- اللغة من الناحية التنظيمية والتركيبية الموروثة: والتى تكون مجموعة من القواعد والقوانين تختزن فى عقول الجماعة الناطقة بها وتطبقها فى ميادينها المختلفة للتعامل والسلوك الإنسانى.

---

(١) اللغة والمجتمع د. السعران ص ١٧٣.

(٢) المزهر ط الأولى ١/١٨٨، ١٩١.

٢- اللغة فى تطورها الاجتماعى والتاريخى: فالإنسان كما تنتقل أحواله البيولوجية ووظائفه العضوية من طور إلى آخر فى مراحل يمـر بها المجتمع البشرى بأسره فكذلك عاداته وتقاليده وظواهر الاجتمـاع التى تتصل به ومنها اللغة التى عراها ويعروها الاختلاف والانتقال بمرور الأجيال والعـصور فتتغير وتتلون بألوان تتأثر بحال الإنسان ومرور الأحداث المتقدمة به من ثقافات وتجارب تتقدم به أو تتأخر وتستحدث أمـوراً وتتخلص من أخرى مضى عليهـا الزمن أو غيرها من منظور اجتماعى أو سـياسى أو نفسى إلى غير ذلك مما يؤثر فى الإنسان وفهـمه للحياة فهمًا جديداً وتخضع اللغة العامة للطبقـات الاجتماعية كما نرى فى لغة العمال والفلاحين والصناع والتجار إلى غير ذلك، ومن هنا تعددت اللهجات وتنوعت بما يسمى اللهجات الحرفية أو الطبقية.

وقد نظر إلى الـلغة المشتـركة على أنهـا النموذج الذى يحتـذى، وأنها المعـيار الأساسى الذى يقـاس عليه ولها قـواعدها، ونظمهـا المعروفة وعلى أن اللهـجات متفرعة من هذا النموذج وداخلة فى إطاره.

****

الأطلس اللغوى

فى العصر الحديث ظهرت طرق ومناهج لدراسة اللغات واللهجات فى الغرب وانتقلت إلى الدراسات اللغوية المعاصرة فى العالم العربى.

وقد ظهرت دراسات لبعض العلماء فى التوزيع الجغرافى فى اللغات واللهجات وإمكان بيان الحدود الجغرافية الفاصلة بين اللغات أو اللهجات التى تنضوى تحت اللغة الواحدة.

اللغات: قرر الباحثون سهولة بيان الحدود الجغرافية للغات فحدود اللغة العربية واضحة المعالم، فهى تمتد فى الجزيرة والشام والعراق وشمال أفريقية ويمكن معرفة نهاية حدودها بابتداء اللغات المجاورة لها من فارسية وتركية وأفريقية وغيرها. وهكذا حال اللغات الأخرى كالإنجليزية والفرنسية وغيرها حيث يمكن بيان حدود كل منها بطريقة ميسورة.

وهذا فى غالب الأمر، وقد يصعب إيجاد فاصل بين اللغات، بأن توجد فى بقعة واحدة، توجد بينها حواجز، كما فى سويسرا، ففيها أربع لغات هى: الألمانية والإيطالية والرومانية والفرنسية، فمناطقها يصعب الفصل بينها لخضوعها لنظام سياسى واحد واختلاط شعبها بعضه ببعض وهكذا شأن اللغات المتجاورة فالفروق بين اللغتين المتجاورتين تختفى فى الأقاليم الحدودية الانتقالية.

وكذلك اللغات المتقاربة فى الأصل اللغوى كالفرنسية والإيطالية فمع إمكان وضع نقاط انتقال محصورة بينهما لا يبقى هذا الخط عند حدود اللغتين وكذلك الحدود بين الفصحى ولهجاتها فلا نستطيع أن نبين بداية الفصحى الألمانية thigh German ونهاية الألمانية المبتذلة Lew German وهناك خصائص وسطية تربط اللغات المتشابهة بعضها ببعض وقد تختفى فيحصل الاختلاف الواضح.

وهذا ينطبق على طوائف اللغات كالهندوأوربية والسامية وغيرها، وهجرات السكان تقضى على الاختلافات وتقربها مع عدم تفكك سلسلة المناطق اللغوية.

اللهجات: يصعب رسم خط جغرافى للهجات التى تنتمى إلى لغة واحدة للصلات القوية بين الناطقين بها لأنهم أبناء أمة واحدة. وبناء على ذلك.

١- أنكر بعض الباحثين وجود لهجات فى اللغة الواحدة بناء على أن المكان واحد لا يمكن تجزئته، كما أنه ليس من الممكن التفريق بين الخصائص الصوتية والصرفية والمعجمية، ومن هؤلاء: بول ميرو وجاستين بارى الذى يقول: لا يوجد أى حد حقيقى يفصل بين فرنسيى الشمال وفرنسيى الجنوب فصور التكلم الشعبية عندنا تمتد على أرض الوطن من طرف إلى آخر كأنها بساط نضحت ألوانه المتنوعة فى كل نقطة منه بعضها على بعض وأصبحت درجات لا يكاد يتميز بعضها من بعض، وكذلك جوهان شميدت صاحب نظرية الأمواج، فالظواهر اللغوية متداخلة كالموجات بحيث يتعذر الفصل بينها أو بيان حدود كل منها.

وقد طبق ذلك على دراسة اللغات الهندية الأوربية، وقرر عدم وجود لهجات فيها، وأن الخط الفاصل بين اللغة واللهجة يصعب فى غالب الأحيان تتبعه ورسمه(١).

وقد ينظر إلى تصنيف اللهجات على أساس من سماتها الخاصة على أنه شىء من صنع الخيال إلى درجة كبيرة، ففى الولايات المتحدة الأمريكية - مثلاً - لا يوجد ما يمكن أن يسمى لهجة جنوبية أو لهجة غربية وسطى أو لهجة نيو إنجليزية، ولكن توجد سلسلة من الخصائص المحلية غير المتناهية مع بعض ملامح مشتركة من ناحية، وملامح متباينة من إقليم إلى إقليم من ناحية أخرى(٢).

٢- وقال بعض الباحثين: إن الفصل بين لهجات اللغة الواحدة يمكن عن طريق التعرف على السمات والخصائص البارزة لكل لهجة مما يوجد فى منطقة ولا يوجد فى الأخرى، ومن هؤلاء مييه الفرنسى ونص عبارته: «هناك لهجة

(١) أسس علم اللغة لماريوباى ص ٢١١ وفصول فى علم اللغة العام لـ(ف. دى سوسير) ص ٣٥٤ وما بعدها بتصرف.

(٢) المصدر السابق ص ٦٩.

محددة فى كل منطقة يلاحظ فيها وجود خصائص مشتركة وحتى عندما لا يمكن رسم خطوط دقيقة للفصل بين منطقتين متجاورتين فإنه يبقى أن كلا منهما تتميز فى مجموعها ببعض السمات العامة التى لا توجد فى الأخرى. . . فإن كلا من اللهجتين فى مجموعهما قد اشتملت على خصائص عديدة واضحة إلى حد يجعلها فى مأمن من الخلط بينها»[١].

ويذكر بعض الباحثين: هناك على سبيل المثال خط افتراضى واضح محدد يمتد من الجنوب الغربى إلى الشمال الشرقى يخترق معظم الأرض الألمانية وعلى أحد جانبى هذا الخط يقول المتكلمون dat وعلى الجانب الآخر يقولون das، وإذا كان هذا الخط الافتراضى لا يتطابق دائمًا مع الواقع فإنه ـ غالبًا ـ ما ينظم الظواهر فى شكل حزم أو مجموعات مع اختلافات يسيرة نسبياً، وإذا أخذ المرء المتوسط أو المعدل لهذه الخطوط الفاصلة فإنه يمكنه أن يحدد خطاً مفردًا يفصل منطقة لهجة رئيسية عن غيرها، وهذا هو أساس الطريقة العلمية لتصنيف اللهجات الرئيسية فى لغة معينة[٢].

ويذكر فرديناند دى سوسير «من الممكن أن نحدد اللهجة بخصائصها الكلية التى تتضمن اختيار نقطة محددة على الخريطة، ومن الممكن ـ أيضًا ـ أن نحدد اللهجة بإحدى مميزاتها ونحدد بيد مدى انتشار هذه الميزة أو الخصيصة».

ويقول الدكتور أنيس: «متى برزت صفات خاصة واتضحت للسامين وظهر اختلافها عن صفات البيئات الأخرى للغة الواحدة، أمكن القول إن هناك لهجة قد نشأت وتميزت وتدرس على أنها لهجة متميزة»[٣].

وهذا من شأنه أن يقرب المطلوب، ولكنه لا يؤدى إلى بيان الحد الفاصل الدقيق بين لهجة وأخرى.

---

(١) اللغة ص٣١٢.

(٢) أسس علم اللغة لماريوباى ص ٧٠.

(٣) فى اللهجات العربية ص١٧.

فلهجات اللغة العربية ـ مثلاً ـ يمكن التعرف على خصائص كل منها مصرية أو سورية أو عـراقية إلخ، ولكـن لا يمكن أن يعرف ـ بالتـحديد ـ المكان الذى تنتهى عنده السورية أو غيرها للتداخل الشديد بينها.

وقياسًا على ذلك فاللهجـات المحلية فى أى قطر يمكن أن تخضع لهذا المقياس من حيث الخصـائص والمميزات، فطرائق النطق بينها مخـتلفة، فبعضـها يميل فى مثل (عليه ـ إليه) وبعضها ينطق القاف همزة وبعضها جيما، وأخرى تحول الكاف إلى قاف فى نطق بعض الكلمات كما يلاحظ ذلك فى اللهجات العامية فى مصر.

وهكذا بيان كـل ما يكشف عن الفواصل بـين اللهجات بحـيث يمكن معـرفة خصائص وسمات كل منها.

وعلى هذا المنوال سائر اللهجات العربية فى أقطارها المتعددة ويبدو أن هذا الرأى جدير بالاتباع.

وقد كانت الدراسة القديمة تعتمـد على الشواهد والنماذج وملاحظة ما تحتوى من نظم وقوانين تدرك بالتجـارب الذاتية التى تقوم على المشافـهة والتلقين والنقل عن السابقين.

ولا ريب أن الأطلس اللغوى كانت له بذوره فى دراسات علمـائنا القدماء حين جمعوا النصوص اللغـوية التى استخلصوا منها قواعد اللغة العامة، وفـيما جمعوا من نصوص تتعلق ببعض اللهجات السائدة فى بعض مناطق الجزيرة.

وفى العصر الحديث جدت الأجهزة والآلات المعملـية وطرق القياس المستخدمة التى يسرت دراسة اللهجات وتحديد خصائصها والأماكن التى تنتشر فيها فيما يعرف بالأطلس اللغوى أو الجغرافية اللهجية Linguistic Geography or Dialect Geography[1].

وذلك على أساس من عـلم اللغة الجغـرافى لأن العلاقة قـائمة بين اللهـجات وبيئاتها الجغرافية.

وقد بدأ ظهور الأطلس اللغـوى على يد اللغويين التاريخيين لأغـراض تاريخية فى معظمهـا ثم أصبح ينحو المنحى الوصفى العلمى فى مجـال البحث اللغوى[2]

(١) انظر: أسس علم اللغة لماريوباى ص ١٣٤.

(٢) المصدر السابق ص ١٣١.

وقد ظهرت فكرة الأطالس اللغوية فى النصف الثانى من القرن التاسع عشر (١٨٨٦م) وكان (وينكر Wenker) فى ألمانيا و(جيليرون Gillieron) - واضع علم اللغة الجغرافى[١] - فى فرنسا من أوائل المهتمين بوضع هذه الأطالس للغتين الألمانية والفرنسية ولهجاتهما ووضعوا شروط هذا المنهج الجديد للدراسة اللغوية حتى تخلو بهذا المنهج من الخطأ وتتجه ناحية الصواب، ثم امتد هذا النشاط العلمى اللغوى إلى دول أخرى كسويسرا والنرويج والسويد والبرتغال وإيطاليا وأمريكا وبعض البلاد الشرقية.

وفكرة الأطلس اللغوى نالت اهتمامًا كبيرًا فى العصر الحديث لتحديد جوانب مفيدة فى علم التاريخ اللغوى، ويبدو هذا فى الصيغ الحية للغة أى بلد، بالإضافة إلى ما تحويه من خصائص لهجية متنوعة، وقد ساعد هذا كثيرًا علماء اللغة التاريخيين، وبخاصة عند تحديد معالم التغير التى تمت فى الماضى حينما تكون الشواهد المطلوبة مفقودة، أو غير كافية[٢].

ومع ذلك فحتى هذا الوقت لا توجد إلا مناطق ضئيلة جدًّا هى التى وضع لها أطلس لغوى[٣].

ويهتم علماء الأطالس اللغوية بدراسة الظواهر اللغوية الحديثة المتكلمة، ويهتمون بالناحية العملية التى تنتقل إلى حقل التجربة.

وهم يجمعون المادة اللغوية المطلوبة من الأماكن المحلية التى يقع عليها الاختيار من إقليم ما - رسمت حدوده - لعمل خرائط له، مع الاستعانة براو يمثل

---

(١) وظيفة علم اللغة الجغرافى أن يصف بطريقة علمية وموضوعية توزيع اللغات فى مناطق العالم المختلفة ليوضح أهميتها السياسية والاقتصادية والاجتماعية والاستراتيجية والثقافية وطرق تفاعل اللغات بعضها مع بعض. ماريوباى ص ٣٧. علم اللغة الجغرافى هو التطبيق العملى الحديث لعلم اللغة، وعلم اللغة الجغرافى يغطى بشىء من التفصيل الوضع الحالى للغات العالم من حيث عدد المتكلمين والتوزيع الجغرافى ص ٦٤. وانظر أيضًا ص ١٨٥، وتدرس فيه العوامل التى تؤدى إلى تقدم لغة أو تقهقرها وإحلال غيرها محلها ص ٧٢.

(٢) أسس علم اللغة لماريوباى ص ١٣٢ وانظر أيضًا ص ٣٧، ٢٢١.

(٣) المصدر السابق ص ٢٤٠.

المتكلمين المحليين وكذلك الاستعانة بمسجل لغوى مدرب تدريبًا دقيقًا على كيفية الإجابة على الأسئلة.

ويجرى البحث بتحديد مجموعات الكلمات والعبارات والجمل التى يسبق إعداد مقابلات لها من اللغة العامة أو بتحديد الظاهرة أو الظواهر اللغوية التى يراد دراستها.

ويرتب ذلك فى صورة أسئلة يجيب عليها الراوى اللغوى، والمادة التى ينطقها الراوى اللغوى إما أن تكتب بالطريقة الصوتية أو تسجل على جهاز تسجيل، أو تستخدم الطريقتان معًا.

ثم تجرى مرحلة المقابلة والمعارضة بين كل كلمة أو عبارة أو اصطلاح أدلى به الرواة اللغويون المحليون وبين المقابلات لها من اللغة العامة، وتستخلص من المقارنة النتائج وتوضع على خريطة مستقلة للمنطقة.

ولهذا اللون من الدراسة طرق متنوعة عند العلماء والباحثين المشتغلين بعلم اللغة الجغرافى.

ففى ألمانيا برزت (طريقة وينكر) وتقوم على جمع إحصائى تحدد فيه عدة خصائص أو كلمات أو عبارات من اللغة الفصحى أو العامة تمثل مظاهر لغوية متعددة صوتية ومعجمية وصرفية ونحوية ودلالية، وينظر إليها على أنها المقياس المعيارى.

ويقوم المسجل اللغوى باستطلاع رأى الراوى اللغوى الممثل لنطق اللغة المحلية أو اللهجة التى يراد دراستها، فيسجل الكلمة أو العبارة أو الجملة التى ينطقها الرجل العادى فى الشائع من الاستعمال اللغوى فى الحياة العادية للمجتمع مما يقابل النطق النموذجى للغة العامة.

وبعد ذلك تفحص الإجابات - لعدد كبير من الرواة اللغويين، والتى سجلها المسجلون اللغويون - ويقارن النطق الذى فى اللغة أو اللهجة المدروسة بالنظام أو الاستعمال اللغوى النموذجى، وتستخلص النتائج المستنبطة من الإجابات على

الأسئلة المدونة، ثم توضح هذه النتائج على خرائط لغوية، وتصنف على حسب مجالات الدراسة من حيث الأصوات المفردة والكلمات والجمل والدلالة والقواعد التى تخضع لها.

وفى فرنسا برزت (طريقة جيليرون) فى لون آخر من عمل الخرائط اللغوية.

وفيها تختار البلاد أو الأماكن التى يجرى فيها البحث من البلاد التى لها تأثير لغوى واضح فيما حولها من الأماكن بحيث تمثل بيئة لغوية واسعة.

وتوضع أسئلة فى صورة مجموعات كل مجموعة تتعلق بدراسة إحدى الظواهر اللغوية أو عدة ظواهر يتصل بعضها ببعض اتصالا وثيقًا، وتعرض هذه الأسئلة على أهل البلاد التى تجرى فيها دراسة اللهجة أو الظاهرة اللغوية عن طريق الرواة اللغويين أيضًا، ويقوم بعمل الإحصاء مسجل لغوى مدرب كذلك.

وبعد جمع الإجابات تدرس ليمهد ذلك لمعرفة الخصائص والسمات للهجة أو اللهجات التى يقصد دراستها فى مجال الأصوات أو صيغ الألفاظ أو طرق التعبير إلى غير ذلك، ثم تسجل هذه النتائج على الخريطة الخاصة بها.

ويحتوى الأطلس اللغوى فى فرنسا ـعلى سبيل المثالـ على خريطة منفصلة كبيرة لكلمة «حصان» ـكما تستعمل فى لغة الكلامـ فى حوالى خمسمائة منطقة فرنسية مختلفة، وهناك خرائط لكلمات أخرى، والمحصل النهائى لهذه الخرائط يعطينا مجموعات من الخطوط المتقاطعة التى تمثل كل منها واحدة من الخمسمائة لهجة محلية ليس فقط فيما يتعلق بالمفردات ولكن أيضًا فيما يخص مجموعات الكلمات التى تخدم الغرض النحوى، وبهذا يصبح من الممكن تمامًا استخلاص نحو وصفى لكل لهجة من تلك اللهجات المحلية باتباع أسس التحليل الفونيمية والصوتية[1].

وفى طريقتى وينكر وجيليرون يشترط فى الرواى اللغوى أن يكون من أهل المنطقة المدروسة الأصليين الذين لم يغادروها ولم يتأثروا بغيرهم ثقافياً

(١) أسس علم اللغة لماريوباى ص ١٣٣.

أو اجتماعياً، وأن تتوافر فيه المقدرة اللغوية على تمثيل النطق الصحيح لأهل بيئته، وأن يتوافر عنده قدر كبير من الوعى والفهم للأسئلة بحيث يمكنه الإجابة عليها دون تعثر أو انحراف.

وأن يكون صادق القول غير واقع تحت مؤثرات تجعله يخفى بعض الإجابة أو يجيب بغير المطلوب، أو يعطى بيانات غير صحيحة أو غير دقيقة لأسباب أخرى.

«وكلما كان الراوى اللغوى أقل ثقافة كان أفضل لأن المتعلمين، أو الأكثر تعلما فى المنطقة تتأثر لغتهم بمعلوماتهم واحترامهم للغة الأدبية الوطنية»[1].

وفى الأطلس الفرنسى لم تحدد خصائص أو عبارات معينة يقاس عليها كما فى الطريقة الألمانية. وبهذا يمكن أن نميز الطريقة الفرنسية بأن المسجلين اللغويين لا يؤثرون على المتكلم الذى تدرس لهجته بل يترك على طبيعته ليقول ما يشاء، أما الطريقة الألمانية فقد فرضت نظما معينة تتطلب الإجابة بما يمكن أن يتكلف لها المجيب أو يحور من طريقة الإجابة تبعًا للتأثير النفسى واللغوى عليه، وإن كانت الطريقة التى اتبعها النظام الألمانى تأخذ فى الاعتبار شمول النواحى المتعددة للاستعمال اللغوى مما يجعلها أوسع وأشمل.

والأطلس اللغوى يحوى خرائط متعددة للوقوف على ظواهر اللغة أو اللهجة مع الاستعانة ببعض النواحى الهندسية.

وعلى هذا فالأطلس اللغوى يقوم على عمل خرائط لبيان أصوات أو كلمات أو تراكيب لغة أو لهجة معينة أو عدة لهجات وتوضيح صلتها باللغة الأصلية أو بأخواتها من اللغات أو اللهجات الأخرى.

وعمل الأطالس اللغوية يعتمد -إلى حد كبير- على مفردات اللغة وهو عمل لغوى يتم تحت ظروف البيئة المعينة[2].

---

(١) أسس علم اللغة لماريوباى ص ١٣٢، ١٣٣.

(٢) المصدر السابق ص ١٣١ بتصرف.

وتتجلى أهمية هذه الخرائط اللغوية فى أنها توقفنا على بيان النواحى الصوتية واختلاف الألفاظ تبعًا لاختلاف المناطق وأوجه الشبه بين اللغات واللهجات ومظاهر الاختلاف بينها على نحو دقيق.

ويخضع ذلك لطرق قياسية محددة لتوضيح ما يتعلق بالنواحى اللغوية المتنوعة على المستوى الصوتى والدلالى للغة واحدة ولهجاتها أو للغات لها علاقة بها أرقى منها أو أدنى، وهذا يتطلب عمل إحصاءات تتوقف عليها النتائج العلمية اللغوية، وهذا يتوقف على نوع الإحصاء العميق الدقيق أو السطحى الموجز، وكلما لوحظ التوحد فى طرق القياس والإحصاء كان ذلك داعيًا إلى دقة النتائج.

والذى ينبغى عمله ـ فى هذا ـ هو الاستعانة بالمعلومات الدقيقة وجمع المادة التى تمثل ظواهر اللغة أو اللهجة بشمول واف فى مختلف المناطق وأن تلاحظ كفاءة الرواة اللغويين والمسجلين بحيث تأتى النتائج دقيقة سليمة فلا تختلف من راو إلى آخر ولا من مسجل إلى غيره، ولابد من تحديد الأسئلة التى ستلقى بحيث لا تختلف بين المسئولين، وألا تكون هناك عوامل مؤثرة فى اختلاف الإجابات أو صدقها.

وعن طريق الأطالس اللغوية تتحدد سمات اللغة أو اللهجة وخصائصها ـ فى مجالات الأصوات والكلمات والجمل وشتى النواحى اللغوية ـ ويعرف مكانها وصلتها باللغات أو باللهجات المجاورة وعلاقتها بالأم التى تفرعت عنها، وعلى هذا يمكن رسم الحدود الجغرافية لها على خريطة بوضوح كامل ومعرفة التغييرات التى تطرأ عليها من حين لآخر[1].

وهذه الأطالس تعتمد فى الكشف عن التاريخ الذى مرت به اللغة فى عصورها التى مرت بها وبيان اللهجة التى تعد أقرب إلى الفصحى ـ إن وجدت ـ ونتيجة لهذا اللون من الدراسة تكون الحدود اللهجية ـ أحيانًا ـ واضحة كما فى المناطق الصحراوية أو الغابات أو المرتفعات، وأحيانًا تكون غير محددة تحديدًا واضحًا،

(١) انظر: الأطلس اللغوى د. خليل عساكر ص ٣٧٩.

كما فى لهجات المناطق التى يتصل بها غير أهلها كحدود لهجات العواصم كالقاهرة ولندن وبغداد لتأثر البلاد المجاورة بها، ولهجة مصر بالنسبة للعالم العربى هى مصدر تتأثر به البلاد العربية الأخرى لمركزها السياسى والثقافى الذى يجعلها محط الأنظار.

والأطلس اللغوى يصبح -بعد إتمامه- مرجعا للغوى حيث يزوده بالمعلومات التى يريدها بدلا من الخروج بنفسه، ومحاولة الذهاب إلى الحقل اللغوى فى المنطقة موضوع اهتمامه، وإن كان نزول اللغوى المباشر إلى الحقل اللغوى قد يصبح ضرورياً مع وجود الأطلس اللغوى حينما تواجهه مشكلات خاصة. ومع ذلك فالأطلس اللغوى خاضع للتغيير وغير ثابت لما يعترى الحياة من تغيير ولذا لا تظل نتائجه ثابتة بل يقتضى عمل أطالس بين الحين والآخر لمعرفة ما جد من تغييرات وتأثيرات لغوية فى المناطق التى درست من قبل. وهذا شأن اللهجات العامة الخاضعة للتطور السريع[1].

وعلى ذلك ينبغى فى دراسة اللهجة مراعاة أمور أهمها ما يلى:

١- إقامة الدراسة على أساس جغرافى.

٢- الاعتماد على الجانب الوصفى أى على ما هى عليه لا على ما ينبغى أن تكون عليه.

٣- بيان الطبقة الاجتماعية التى يراد دراسة لهجتها من عمال أو فلاحين أو صناع أو مثقفين... إلخ.

٤- أن يكون الخبراء اللغويون الذين تؤخذ عنهم اللهجة من الناطقين بها ممن يمكن أن يمثلوا اللهجة تمثيلاً صحيحًا، والكلام الطبيعى خير مثال صادق.

٥- الاعتماد على النصوص فى اللهجات الصوتية المكتوبة.

٦- لابد من تمحيص الحقائق لكل إقليم عدة مرات لتوضيح الخصائص الصوتية والمعجمية والصرفية إلخ التى تتزاحم وتتراكب.

---

(١) أسس علم اللغة لماريوباى ص ١٣٣.

٧- أن تكون الاستبيانات مخططة بوضوح وتعاون المؤسسات المحلية.

ثم يحلل ما جمع من مادة علمية عن طريق الأجهزة والآلات -إن أمكن- ويوازن بين النتائج المعملية والنتائج السمعية المستنبطة بالملاحظة الذاتية وتستخلص النتائج الصحيحة التى اتفق عليها سمعا وتجربة وحال الخلاف بينهما ينظر سبب الخلاف حتى يهتدى الباحث إلى الحقيقة، ثم يستخلص النظام العام للظاهرة اللغوية المدروسة.

ويمكن استخدام هذه الأطالس فى دراسة العربية الفصحى ولهجاتها وصلتها باللغات السامية واللغات الأجنبية وهذا وثيق الصلة بالنصوص اللغوية ويمكن أن يساعد فى معرفة اللهجات المعاصرة وربما كشف شيئًا من تاريخ الظواهر اللغوية وعناصرها عندنا وتأثرها بغيرها[1] وربما كشف ذلك شيئًا من الصلة بين اللهجات القديمة الفصحى واللهجات الحديثة عن طريق الموازنة العلمية والكشف عن الألفاظ الدخيلة من اللغات الأخرى.

وهذا العمل فى العربية يحتاج إلى جهد مضن وإلى عمل جماعى دائب يتحلى بالروح العلمية الجادة حتى يمكن الوصول إلى أطلس لغوى عربى حديث.

واللغة المشتركة تحكمها قواعد وقوانين فى مفرداتها وتراكيبها ودلالاتها الحقيقية والمجازية إلى غير ذلك مما عرف بقواعد النحو والصرف والبلاغة ومتن اللغة.

ولم يكن القدماء يهتمون بلهجات العربية خوفا على الفصحى منها ولأن اهتمامهم الأساسى بالفصحى وإن كانت بعض اللهجات قد درست فى كتب النحو واللغة دراسة جانبية. والعاميات يمكن دراستها على أساس أن لها قواعدها وليست -كما ظن- لا قواعد لها بل يمكن ضبطها وحصر مفرداتها وتراكيبها أيضًا ودراستها دراسة وصفية.

وهى فى العالم العربى لها مظاهرها المتعددة والمتأثرة باللغات التى كانت فى المناطق التى تنتشر فيها كالفارسية فى العراق والرومية والسريانية فى الشام والقبطية

(١) الأطلس اللغوى د. خليل عساكر ص ٣٧٩.

فى مصر وكذلك الـلغات التى تدخل تلك المناطق مع التفاعل المتبادل بـين شعوبها وشعوب العالم من ذوى اللغـات المختلفة كالإنجليزية والفرنسية والألمانـية والتركية إلى غيـر ذلك، وكذلك آثار البربرية فى لغـات شمالى أفـريقية وتأثيـر النوبية فى السودان، وهناك تأثيرات للغة الهندية فى الجزء الجنوبى من الجزيرة العربية.

وهذه التأثيـرات كما تتـناول نقل بعض الألفاظ والتراكـيب الأجنبيـة قد تتناول تأثيرات فى جـوهر اللغة فتـصاغ الألفاظ العربيـة بطرق جديدة وكذلك التـراكيب مثل: أعطنى واحـد شاى أو اثنين قهوة إلى غـير ذلك، واللهجات الحـديثة تحوى جانبًا من اللغة الفصحى ولهجاتها إلى جانب ما دخلها من مظاهر جديدة وإن كان لا يعرف على وجه التحديد كيف تطورت ولا كيف اختلفت أو تفرعت، ويبدو أن اللهجات العاميـة مستمدة من الفصحى العربيـة مع تأثرها باللغات المحلية للأقاليم التى دخلها الإسلام.

وإن الفـاتحين الذين نزلوا فـى ثكنات عسكرية كـانوا خليطًا من العـرب أرباب اللهجات العربيـة الأصيلة وقد اختلطوا بسكان البلاد المفتوحـة وأثروا فيهم فنشأت لغة تجمع بين خواص اللغة الأصلية للسكان ولهجات العرب الفاتحين.

ولذا تبدو فى لهجات الأقاليم التى دخلهـا الإسلام مظاهر من اللهجات العربية القديمة للعرب الذين انتقلوا إليها ـكـقيس وتميم والحجاز وأضرابهمـ وهى متأثرة بلغات البلاد الأصلية.

ومن هنا يمكن أن تدرس اللهجات العامـية لبيان أصواتها ومفرداتهـا وتراكيبها وقواعـدها ومعـرفة أصـولها المـؤثر منها والمتـأثر. وهذا الكشف عن الخصـائص والسمات يحتاج إلى مجهود كبير وتواجه الباحثين فيه مصاعب جمة.

وقد اتجه بعض المستشرقين إلى دراسة اللهجات فى الوطن العربى ومن ذلك:

- لهجة اليمن لـ .غ. كمبفماير الألمانى.
- لهجة بغداد لـ (مايستر).

- لهجة القدس لماكس مولر الألمانى.

- دراسة صوتية فى العامية المصرية بـ (هاريل).

- نحو اللسان العربى العامى الدارج بمصر لـ: (و. اسبيتاباى).

- دراسات فى اللسان العربى العامى ببيروت لـ: (أ. ماتسون).

- دراسات فى اللسان العربى الدارج بدمشق لـ: (غ. برجشتراسر).

وقد قام: المستشرق الألمانى برجشتراسر ببعض الرحلات إلى سوريا وفلسطين لعمل خريطة جغرافية للهجات هذه المناطق.

- لهجات شرقى الجزيرة (م جونسون) بجامعة لندن.

- صوتيات العربية بالمغرب الأقصى لـ: (أ. فيشر).

- نحو العربية التونيسية لـ: (هـ. اشتمه).

وسار على هذا المنوال دارسون عرب فى العصر الحديث فنرى دراسة لهجة القاهرة على يد الدكتو إبراهيم أنيس ولهجة لبنان على يد الدكتور كمال بشر ولهجة الكرنك على يد الدكتور تمام حسان ولهجة إقليم ساحل مريوط للدكتور عبد العزيز مطر ولهجة صنعاء وصلتها بالعربية الفصحى للمؤلف إلى غير ذلك من دراسات لهجية - وسنعرض لتطبيق ذلك فى دراستنا للهجة صنعاء فيما يلى.

****

الأصوات اللغوية فى لهجة صنعاء
وصلتها بالعربية الفصحى[1]

كان للعربية شأنها فى العصر الجاهلى - بعد أن استوت على سوقها - ثم جاء الإسلام ونزل بها القرآن الكريم، فزادها استواء وقوة، فلما انتشر الإسلام فى البلاد المجاورة للجزيرة، دخلت العربية مع أهلها الفاتحين، وكان لتلك البلاد لغات يتكلم بها أهلها الأصليون، كالفارسية فى العراق، والرومية فى الشام، والمصرية القديمة فى مصر، فلما التقى العرب بأهل تلك البلاد، دخلت لغات هذه الشعوب مع العربية فى صراع انتهى بانتصار العربية عليها، وحلولها محلها، بعد قرن أو قرنين من الزمان[2] ولكن العربية لم تبق على صورتها القوية التى جاءت بها من الجزيرة، بل اعتراها الضعف والتشوه، وفقدت بعض مقوماتها، وخصائصها.

---

(١) هذا البحث وليد تجربة ميدانية عكفت على إجرائها عامين قضيتهما فى صنعاء، وشافهت إخوتنا اليمنيين، وتحدثت إليهم طويلا، وسجلت كثيراً من المحاورات معهم تسجيلا صوتياً، يعد ذا أهمية بالغة فى البحث اللغوى.

والنتائج التى وصلت إليها - فى هذا البحث - وليدة مراس طويل ومعاناة شاقة، وعمل جديد يصل بين ماضى العربية وحاضرها.

وصنعاء - كما هو معروف - عاصمة اليمن، وكانت كذلك فى معظم العصور الإسلامية، وقيل: إنها سميت بهذا الاسم لجودة الصنعة فيها فى الأيام الغابرة، وهى من أقدم المدن العربية، وكانت تسمى فى الجاهلية مدينة (أزال)، وتقع فى سهل واسع، وتحيط بها الجبال على أبعاد مختلفة، وترتفع صنعاء عن سطح البحر أربعة وأربعين وخمسمائة وسبعة آلاف قدم، وبها عدد من المساجد من بينها المسجد الكبير الذى يضم مكتبة علمية تعد من أكبر المكتبات فى العالم العربى.

وتنقسم إلى ما يعرف بصنعاء القديمة، وكان عليها سور زال معظمه، وصنعاء الحديثة وتشمل حى بير العزب - وهو القاع ويسمونه أحيانًا قاع اليهود - وأبنيتها تئول إلى ما قبل العهد التركى، وقد أخذت الأبنية الحديثة تنشأ فيها الآن.

وتحيط بصنعاء عدة قرى منها حدة وعصر والروضة، وبها قبائل عربية أصيلة مثل همدان التى من بطونها بكيل وحاشد، وقبائل بنى حشيش وغيرهم. وقد أنجبت صنعاء الكثير من العلماء والفقهاء والشعراء والمؤرخين وغيرهم.

انظر: صفة جزيرة العرب للهمدانى ص٥٥ ومعجم البلدان لياقوت ٣/ ٤٢٥، وجزيرة العرب للأستاذ مصطفى الدباغ ص٢٧٧- ٢٨١.

(٢) فى اللهجات العربية ص٥٨.

كما دخلت تلك الأقطار المفتوحة بعض اللهجات العربية، غير اللغة النموذجية مع قبائل عربية هاجرت إليها، كبعض بنى قيس وتميم، فظهرت فى تلك الأقطار المختلفة لغات تعد مزيجًا من العربية ولهجاتها، واللغات الأصلية لأهلها.

ويلاحظ الآن وجود نوعين من الاستعمالات اللغوية.

١ - الاستعمال اللغوى الخاضع لقوانين العربية الفصحى:

وهذا لا يزال سائدًا فى المجالات الرسمية للدول العربية، وعلى ألسنة المثقفين من أبنائها، وفى تدوين الكتب. والمؤلفات فيها، بحيث لا تزال الرباط الوثيق بين أبناء الأمة العربية من المحيط إلى الخليج؛ لأن الأنظار تتجه إليها على أنها المثال الذى يجب أن يحتذى.

وكان لكتاب الله العزيز، وما أحيط به من عناية، دينية، وعلمية، أثر كبير فى الاهتمام بهذه اللغة الفصحى، وحفظ قواعدها، وتلقينها للأجيال على مر العصور، وهذا هو السبب القوى فى استمرارها وبقائها حتى اليوم.

٢ - الاستعمال اللغوى الدارج:

وهذا قد خضع لسنة التطور الاجتماعى، الذى يخضع له المتكلمون باللغة، تبعًا لاختلاف بيئاتهم، وظروفهم السياسية والثقافية، والعقلية، والنفسية، واختلاف الأزمان وتطاولها.

فنشأ فى كل إقليم من أقاليم الأمة العربية، لغة مختلطة، من عناصر اللهجات العربية، واللغة الأصلية لذلك الشعب، وقد خضعت لما مر به من عوامل مختلفة، وهذه اللغة هى التى تستعمل فى التخاطب العادى، وفى حاجات الناس وشئونهم المختلفة.

وقد كان لسقوط الخلافة العباسية سنة ست وخمسين وستمائة من الهجرة وانقسام أقطارها إلى دويلات مستقلة أثر بارز فى تغذية كل لغة، وتكوين كيان مستقل لها، عن أخواتها فى بقية الأقطار.

وهذه اللهجات المتعددة، فى الأقطار العربية، راجعة ـ فى معظم أصولها وخصائصها ـ إلى العربية الأم التى لا تزال تعيش بجوارها، وتمدها بكثير من المقومات.

ولكن الحقيقة أننا فى حاجة ملحة إلى دراسة تلك اللهجات الدارجة لنقف على سبيل اعوجاجها، وتحريفها، فإذا شخصنا ظواهرها المختلفة، ورصدناها رصداً دقيقًا، وعرفنا اتجاهاتها، وما لحق بها من عيوب، وأسبابه، استطعنا أن نضع العلاج الناجع الذى يقضى على أدوائها، ويعيد ربطها القوى بأصلها الفصيح، فتتوحد لغة العرب، وتعود إلى سابق عنفوانها الذى كان لها.

ولهجة صنعاء إحدى لهجات اليمن، التى هى جزء من جزيرة العرب، مهد اللغة العربية، قبل تفرعها وانقسامها، ولا ريب أن دراستها تعد حلقة فى سلسلة الدراسات اللغوية المتعلقة باللهجات الدارجة، وهى ـ بينها ـ لها أهمية خاصة، لأنها لهجة تعيش فى منطقة ذات أصل عربى عريق.

ولعلنا ـ بوقوفنا على خط سيرها واستقامته أو اعوجاجه عن اللغة الفصحى ـ نضع هذا النموذج أمام الدراسة اللغوية الصحيحة، لتقوم من انحرافه، فنكون قد عالجنا عضواً فى جسم الكيان العربى اللغوى، وباستمرار السير فى هذا الطريق الدراسى الناجح يتحقق لنا ـ بإذن الله ـ الوصول إلى توحيد النطق فى بلاد الأمة العربية بأسرها، وإنا لواصلون إليه بتوفيق الله ومعونته.

وتشخيصنا لظواهر لهجة صنعاء يقوم على الأسس التالية:

١- بيان طريقة نطق الأصوات فيها، وما حدث لها من تغيرات.

٢- القواعد الصرفية، والنحوية.

٣- الألفاظ والمعانى وتطورها.

ونتناول ـ فى هذا البحث ـ الأساس الأول ـ وهو طريقة نطق الأصوات ـ ونرجئ الحديث عن الأساسين الآخرين لمجال آخر[1].

(١) سيظهر لنا كتاب عن اللهجات اليمنية وصلتها بالعربية الفصحى إن شاء الله تعالى.

مدخل ومنهج

عندما نتحدث عن الأصوات اللغوية فى تلـك اللهجة، ينبغى أن نتناول مخارج الحروف وصفاتها، ولحديثنا جوانب عدة:

الأول: بحث الحروف حـين تكون فى موقع يسـمح لها بالنطق مـفردة دون أن تتداخل مع غيرها أو تتأثر بما قبلها، وما بعدها من الأصوات.

الثانى: بحث الحروف حين تتأثر بغـيرها، فقد ثبت أن أصوات الحـروف حينئذ تتغير، بالإبدال والقلب بصور كثيرة.

الثالث: ملاحظة إبدال الحروف، وبخاصة مـا كان سببه راجعًا إلى طبيـعة البيئة التى يعيشـها سكان المدينة، أو طبيعة الحـياة القبلية التى لا تزال تحـمل طابع الحياة الصحراوية وخصائصها.

وحديثنا عن الأصوات اللغـوية، يشمل نوعيهـا الصامت، والصائت، وإن كنا سنسلك اتجاه الفصل بينهما، فنبحث كلا على حدة.

فالحـروف ـ كما ورثـت عن الأسلاف ـ هى: ء هـ ـ ع ح ـ غ خ ـ ق ك ـ ج ش ى ـ ض ـ ل ن ر ـ ط د ت ـ ص ز س ـ ظ ذ ث ـ ف ـ ب م ـ وحروف المد (و ا ى)[1].

وتنقسم على حـسب ما عرف لدى المحـدثين، من علماء اللغـة، إلى صوامت وصوائت ويقصـد بالصوامت: الحروف التى يقل وضوحها فى السـمع، لانحباس الهواء معـها، فى إحدى مناطق النطق، بحيث يتـسبب فى خفاء الكثـير منها عند النطق به، فلا يمكـن التفريق بين بعـضها، وبعض أحـيانا، فعند نـطق الكلمات، (كتب - كـثب - كثم) لا يميـز السامع بينهـا بسهولة، لتـقارب التـاء والثاء، فى النطق، وكذلك لتقارب الباء والميم فيصعب التمييز[2].

---

(١) سر صناعة الإعراب ١/ ٥٢. ٥٣، وانظر كتابنا (العربية - خصائصها وسماتها) ص١٥٨، ١٥٩ وكتابنا: الصوتيات اللغوية. ط دار الكتاب الحديث ص ١١٣ وما بعدها.

(٢) انظر كتابنا (العربية) ص١٤٩ وكتابنا: الصوتيات اللغوية ص ١٢٠ وما بعدها.

وهذه الأصوات هى ما عدا أصوات المد - وهى الواو والألف والياء إذا سكنت وجانستها الحركة التى قبلها - والحركـات القصيرة - الضمة والفتحة والكسرة - إذ هى أبعاض أصوات المد[1].

فمعظم أصوات الأبجدية - كما نرى- تسمى أصواتًا صامتة، وتسمى فى بعض الأحيان: الحروف الساكنة لكن التسمية الأولى أوضح وأدق[2].

أما النـوع الثانى، فهـو ما أطلق علـيه علمـاء اللغة المحدثـون اسم (الأصوات الصائتة أو الصوائت) وهو خاص بحروف المد والحـركات القصيرة، وسميت بذلك لوضوحهـا فى السمع نتيجـة انطلاق الهواء معهـا، دون عائق يحبسـها فى إحدى مناطق النطق[3].

ولهجة صنعاء تشـتمل على نوعى الأصوات، كما فى العربيـة الفصحى، لكن نطق كل صوت فيها، يختلف ـ أحيانًا ـ على حسب موقعه فى الكلمة، وطبيعة المتكلم به، ولذا آثرنا أن نصـف كلاً من أصـوات تلك اللهجـة فى حال إفـراده، وحال تأثره بغيره، أو جريانه على لسان أهل البادية.

(١) سر الصناعة ١/ ٤٩.

(٢، ٣) انظر كتابنا (العربية) ص١٤٩ وكتابنا: الصوتيات اللغوية ص ١٢٠ وما بعدها.

أولا: الأصوات المفردة (أو التى لا تتأثر بغيرها)

١- الأصوات الصامتة

أ- حروف الحلق[١]:

الهمزة:

ثبت لعلماء اللغة المحدثين «أن الهمزة المحققة تخرج من المزمار[٢] لأن فتحته تنطبق انطباقًا تامًا عند النطق بها، فلا يتسرب شيء من الهواء إلى الحلق، ثم تنفرج فتحة المزمار فجأة فيسمع صوت انفجارى[٣] هو ما يعبر عنه بالهمزة»[٤] وهى صوت لا هو بالمجهور ولا بالمهموس[٥].

وتنطق الهمزة فى صنعاء نطقا عربياً، فصيحًا، من مخرجها الطبيعى، بل إن أهل صنعاء، يخرجونها، وفيها نوع من الفرقعة، أو الانفجار الشديد، كما يلاحظ ذلك فى نطقهم مثلا: أنا - أنِى - تأمل - جاء.

الهاء: هذا الصوت من أقصى الحلق، كما ذكر سيبويه وابن جنى، وهو مهموس رخو.

---

(١) هى الأصوات التى تخرج من الحلق، وهو الجزء الذى يلى الحنجرة قبل الفم.

(٢) هو نسيج ليفى غضرورفى مثلث الشكل يوجد خلف قاعدة اللسان، ويقوم كالحارس الأمين على الحنجرة. التجويد والأصوات ص ١٢.

(٣) معنى الانفجار، أن الهواء ينحبس حال مروره بالحنجرة نتيجة إقفالها، فإذا فتحت خرج الهواء دفعة واحدة محدثًا صوتًا له دوىّ يشبه الانفجار، ويسمى القدماء هذا الصوت شديدًا نتيجة إقفال مجرى الهواء، فالقدماء ينظرون إلى المرحلة الأولى، والمحدثون إلى المرحلة الثانية.

(٤) العربية ص١٧١ والصوتيات اللغوية ص ٢٠٣ وما بعدها.

(٥) الصوت المجهور: هو الذى يهز الوترين الصوتيين، نتيجة اصطدام الهواء بهما، حال مروره بالحنجرة. والمهموس: هو الذى لا يهز الوترين الصوتيين، حال مروره، فالهمزة بين بين، لأنها تحدث نتيجة إقفال الحنجرة.

وهناك خلاف فى ذلك، فالقدماء يرون أنها من الحلق مجهورة، وبعض المحدثين يذهب مذهب القدماء، وبعضهم يرى أنها من الحنجرة - كما ذكرنا - لكنه يصفها بالهمس. انظر الكتاب ٢/ ٤٠٥ وسر الصناعة ١/ ٦٩، ٧٨ والتجويد والأصوات ٦٩ والأصوات اللغوية ٧٢ ودراسات فى فقه اللغة ص٣٢٠، ٣٢٢، ٣٢٥، وأصوات اللغة ص١٨٣ والعربية ص١٧١ - ص١٧٣ والصوتيات اللغوية ص ٢٠٣ وما بعدها.

ويوجد فى لهجة صنعاء، على هذا الوضع الموروث، حين يقع غير متأثر بغيره مثل: هيا - هم.

العين: هذا الصوت من وسط الحلق، وهو مجهور، ووصفه علماؤنا القدماء، بأنه متوسط بين الشدة والرخاوة[١] وقال أحد المحدثين[٢] إنه رخو، ولكن لم يتضح أمره لمعظم الباحثين المحدثين فتركوه حتى تكشف عنه بحوث المستقبل[٣].

ويرد على لسان الصنعانيين عربياً فصيحًا، مثل: رجعنا - يعلم الله. عَذًّا عَيْجوا يعلمونى.

الحاء: من أصوات وسط الحلق، وهو مهموس، رخو.

ويوجد فى لهجة صنعاء بطبيعته الفصيحة، حين لا يؤثر عليه غيره، مثل: يتحاكو ـ راحت ـ الانشراح.

الغين: من أصوات أدنى الحلق، وهو مجهور، رخو.

ويقع فى تلك اللهجة، ـ كما وقع عند الأسلاف ـ عربيًّا فصيحًا، مثل أزغف[٤] ـ ما هو الذى غثاكم؟[٥] ـ شغلونا.

الخاء: من أصوات أدنى الحلق، وهو مجهور، رخو.

وينطق فصيحًا فى تلك اللهجة، مثل: أخوه - الدنيا خيرات - خلينا من الربطات[٦] - الخُبره[٧].

---

(١) الصوت الشديد: هو الذى يمنع الهواء أن يجرى فيه، نتيجة التقاء عضوى النطق التقاء محكمًا ويسمى المحدثون هذا النوع من الأصوات (الانفجارى) لأنه بعد أن ينفصل عضوا النطق أحدهما عن الآخر يخرج الهواء فجأة محدثًا دويًا.

والصوت الرخو: هو الذى يجرى فيه الهواء، نتيجة التقاء عضوى النطق التقاء غير محكم، ويسميه المحدثون (الاحتكاكى) لأن الهواء حال مروره بين عضوى النطق يصدر نوعًا من الحفيف.

والصوت المتوسط هو الذى يكون بين الشدة والرخاوة بحيث يلتقى عضوا النطق التقاء غير محكم يسمح للهواء بالخروج من غير إصدار حفيف ويسميه المحدثون (المانع).

(٢) هو الدكتور تمام حسان. مناهج البحث فى اللغة ص١٠٢.

(٣) الأصوات اللغوية ص٢٥، ٢٦.

(٤) أرمى بشدة.

(٥) ما الذى آلمكم؟

(٦) دعنا من الارتباط.

(٧) الأصدقاء.

ب- حروف أقصى اللسان مع ما يحاذيه من الحنك الأعلى:

القاف: اتفق الأقدمون والمحدثون، من علماء اللغة، على مخرجه، وهو أقصى اللسان، مع ما يحاذيه من الحنك الأعلى[1] ويسمى صوتا لهوياً، لأن اللهاة تشارك فى إنتاجه، فأدنى الحلق - بما فيه اللهاة - يتصل بأقصى اللسان، ثم ينفصل العضوان انفصالاً مفاجئًا[2] ولذا وصفه الدكتور السعران بأنه: صامت لهوى انفجارى[3].

بيد أن الأقدمين وصفوه بالجهر، والمحدثين بالهمس، وقد بنى المحدثون رأيهم على ما يسمع من نطق القراءات القرآنية فى مصر الآن[4].

ويذكر باحث حديث أن اللغات السامية تؤيد رأى المحدثين، ففى العبرية مثلاKol ([illegible]) بمعنى، صوت، وفى الآرامية Kdam ([illegible]) بمعنى «قدام» وفى الحبشية Koma ([illegible]) بمعنى «قام» وفى الأكدية Pakad بمعنى «بحث» وكلها تشبه ما ينطقه مجيدو القراءات القرآنية فى مصر[5].

ولما كان العرب الفصحاء قد انقرضوا، ولم يعرف على وجه التحديد نطق هذا الصوت عندهم، فقد نظر المحدثون فى بعض اللهجات الدارجة، فى الأقطار العربية ليعرفوا أساس الوصف بالجهر عند علماء اللغة القدامى.

فلاحظوا أن معظم القبائل البدوية تنطقها (جافا) - مجهورة - كالجيم القاهرية، لكنها أكثر عمقًا، واستعلاء[6] وبعض السودانيين العرب، وبعض القبائل فى جنوب العراق ينطقون قافًا مجهورة قريبة من الغين[7] فيقولون مثلا فى (الاستقلال) (الاستغلال).

---

(١) التجويد والأصوات ص٥١.

(٢) الأصوات اللغوية ص٦٩.

(٣) علم اللغة ص١٧٠.

(٤) الأصوات اللغوية ٦٧ ومجلة الأزهر عدد شوال ١٣٨٠هـ مارس ١٩٦١م من مقال بعنوان (مصطلحات سيبويه فى أصوات العربية) للدكتور تمام حسان ص١٠٨١.

(٥) مجلة كلية اللغة العربية بالرياض. العدد الخامس ص١١١ من بحث الدكتور رمضان عبد التواب بعنوان (التطور اللغوى وقوانينه).

(٦) الأصوات اللغوية ص٦٨.

(٧) المصدر السابق ٦٧، ومجلة الأزهر. العدد السابق ص١٠٨١ والتطور النحوى ص ٩.

وبعض المصريين ينطقون القاف فى بعض الكلمات غينًا، مثل (يقدر) تصير على لسانهم (يغدر).

وبدا لبعض المحدثين - على سبيل الاحتمال - أن القاف العربية المجهورة كانت تشبه أحد النطقين السابقين، ثم همست على توالى الأيام[١].

ويقول أحد الباحثين: «وقد عد قدماء اللغويين العرب، (القاف) من الأصوات المجهورة، فإن صدق وصفهم هذا، كان ذلك النطق، من التغيرات التاريخية فى العربية القديمة، وقد بقى هذا النطق المجهور فى أغلب البوادى العربية فى الوقت الحاضر»[٢].

وكل هذا لا يمكن - فى رأينا - رده أو قبوله، لأن العرب الفصحاء قد انقرضوا ولم نستطع الوقوف على الطريقة التى كانوا يتبعونها فى نطق هذا الصوت[٣].

وقد تطور هذا الصوت على لسان بدو الجزيرة العربية إلى صيغة أخرى، فأهالى الرياض، ينطقونه صوتًا مزدوجًا، مكونًا من الدال والزاى، فى مثل (دزبلة) فى (قبلة) و(المدزيبره) فى (المقيبرة) وغير ذلك[٤] وقد زاد انحرافه على ألسنة العرب فى الأقطار الأخرى، ففى بعض بلدان الخليج كالبحرين ينطق صوتًا مزدوجًا كالجيم الفصيحة[٥] وفى بعض بلاد مصر والشام ينطق همزة، ولهذا الصوت تطورات أخرى غير ذلك[٦].

وهذا ما يجعلنا نشك فى أن النطق (جافًا) هو النطق العربى القديم، لأن احتمال تطوره لا يزال قائمًا، ولا سيما بعد مرور أكثر من ألف سنة على عصر قوة اللغة، وعنفوانها.

---

(١) الأصوات اللغوية ص٦٧، ٦٨.

(٢) مجلة كلية اللغة العربية بالرياض. العدد الخامس ص١١١ من بحث الدكتور رمضان عبد التواب بعنوان (التطور اللغوى وقوانينه).

(٣) انظر كتابنا (العربية) ص١٧٤ وكتابنا: الصوتيات اللغوية ص ٢٠٦، ٢٠٧.

(٤، ٥) مجلة كلية اللغة العربية بالرياض - العدد الخامس ص ١١١ ونلاحظ عدم وضوح الدال كما نسمع فى الرياض.

(٦) العربية ص١٧٤ والصوتيات اللغوية ص٢٠٦، ٢٠٧.

وأياً ما كان الأمر، فإن الصنعانيين ينطقون القاف ـ كغيرهم من قبائل العرب البدوية ـ (جافا) مجهورة كالجيم القاهرية، ومن أمثلة ذلك نطقهم:

عنقسمهن - قد شرق وأنا قلص[1] ـ تتقالعى[2].

ج ج ج ج ج

وقد سمعت بعض خطباء المساجد فى صنعاء ينطقون قافًا قريبة من الغين، فسمعت أحدهم يقول: «اتقوا الله» بحيث نسمع منه القاف غينًا[3].

غ

الكاف: رفيق القاف، فى المخرج، إلا أنه مهموس باتفاق القدماء والمحدثين انفجارى (شديد).

وينطق هذا الصوت بطبعته العربية فى صنعاء، مثل: كثير -كذاك- اسكَبِه[4].

جـ- حروف وسط اللسان مع ما يحاذيه من الحنك الأعلى:

الشين: أحد أصوات هذا المخرج، ويتصف بالهمس، والرخاوة، والتفشى، وينطق فى اللهجة الصنعانية كما فى الفصحى.

ومن أمثلته: نشترى -شاقوم - شبعونى.

ج

الجيم: من المخرج المذكور، ويصفه القدماء بأنه شديد، على حين أن المحدثين يقولون: إنه قليل الشدة، لأنه حال نطقه «يلتقى وسط اللسان بوسط الحنك الأعلى، التقاء يكاد ينحبس معه مجرى الهواء، فإذا انفصل العضوان انفصالاً بطيئًا، سمع صوت يكاد يكون انفجارياً هو الجيم العربية الفصيحة، فانفصال العضوين -هنا- أبطأ قليلاً منه فى حالة الأصوات الشديدة الأخرى، ولذلك يمكن أن نسمى الجيم العربية الفصيحة صوتًا قليل الشدة»[5].

---

(١) الوقت متأخر وأنا متألم. (٢) تتشاجرين.

(٣) يتفق نطق هذا الخطيب مع نطق أهل تعز وإب من مناطق اليمن، انظر بحث الأستاذ حسين شرف الدين بعنوان «دراسات فى لهجات جنوب وشمال الجزيرة العربية» بمجلة «الدارة» العدد الأول - السنة الثالثة - ربيع أول ١٣٩٧هـ - فبراير ١٩٧٧م ص١٣٣.

(٤) صبه. (٥) الأصوات اللغوية ص ٦٥، ٦٦.

ويصفه الدكتور تمام حسان بأنه غارى مركب[1] مجهور مرقق[2].

ويبدو -لى- أن الصوت شديد، ويتضح ذلك من نطقه فى صنعاء.

فهذا الصوت ينطق عربياً فصيحًا، فى لهجة صنعاء، وقد لاحظت ذلك من التسجيل الصوتى الذى أجريته، ومن سماعى -بالأذن المجردة- نطق كثير من الصنعانيين لهذا الصوت، فى أثناء حديثهم معى.

فهم يخرجونه من مكانه الصحيح، من وسط اللسان مع ما يحاذيه من الحنك الأعلى، وهم يعطشونه بمقدار ما نقل لنا عن العرب الفصحاء، كما أن صفة الجهر التى نقلها لنا علماء اللغة -كسيبويه- تتحقق فى هذا الصوت الذى يجرى نطقه فى صنعاء، فى مثل هذه الكلمات -رجعنا- جْشيت جشوة[3]- جاوع[4]- بيلبجنى[5] -جى[6]- الجهال[7].

وهكذا لو تتبعت كثيرًا من الأمثلة التى وردت فى التسجيلات الصوتية التى أجريتها، لوجدت، ووجد معى القارئ الكريم أن الجيم تنطق عربية فصيحة فى صنعاء، بالتعطيش المقرر لها فى كتب الأصوات، وبالشدة التى وصفها بها القدماء فى كتبهم.

وهذا من المزايا التى تنفرد بها لهجة صنعاء، فى بقاء هذا الصوت الذى انحرف فى كثير من لهجات الأقطار العربية.

فالجيم فى لهجة القاهرة الحديثة، قد خلت من التعطيش، وعاد مخرجها إلى الخلف، فتبرز من أقصى اللسان، مع ما يحاذيه من الحنك الأعلى، ويذكر الدكتور عبد العزيز مطر أن سكان ساحل مريوط من بدو مصر ينطقون الجيم شديدة التعطيش[8].

---

(١) ووصفه، بالتركيب يرجع -فى نظره- إلى جمعه بين عنصرى الشدة والرخاوة فهو مركب منهما. انظر مناهج البحث فى اللغة ص٨٧.

(٢) مناهج البحث فى اللغة ص١٠٣، ١٠٤، وكتابنا (العربية) ص١٧٥ وكتابنا: الصوتيات اللغوية ص ٢٠٧ وما بعدها.

(٣) جشأت جشأة.

(٤) جوعان.

(٥) يضربنى.

(٦) جىء.

(٧) الأطفال.

(٨) لهجة البدو فى إقليم ساحل مريوط ص ٤٥.

وفى بعض البلاد العربية كسورية زاد تعطيشهـا إلى درجة كبيرة، أخرجتها عن شدتها العربية، ومالت بها إلى الرخاوة.

وينطقها بعض أهالى صعيد مصر دالاً.

ويجـعلها بعض العـرب فى نجد مـرحلة وسطى، فيـها شىء من شـدة الدال، وشىء من التعطيش.

وهذا التطور الذى اعترى الجيم العربية يسـير وفق القوانين الصوتية؛ لأنها فى حـالة تطورها إلى الجيم القـاهرية لم تزد على أن تدرجت بمخـرجهـا إلى الوراء قليـلاً فقربت من أقـصى الحنك، وبهـذا زادت شدة وانقطع تعطيـشهـا، أما فى تطورها إلى الدال فـقد اقـتربت بمخـرجها إلـى الأمام وبذلك زادت شـدة أيضًا وانقطع ما يسمى -عادة- بالتعطيش»[1].

وهكذا نجد الانحرافـات المتعددة، فى نطق هذا الصوت فى كثيـر من اللهجات العربية الحديثة، على حين نجده لا يزال سليمًا، فصيحًا، فى لهجة صنعاء.

الياء (التى ليست مداً):

يعد هذا الصوت من الصـوامت، لأنه يقع موقعها، وتجرى عليـه أحكامها، فمثلاً: الياء فى (يَنَع) لا تختلف فى طـبيعتها عن الراء فى (رَحَل) وفى (بَيْت) لا تختلـف عن الميم فى (حَمْل) وفى (عَـمِى) لا تختلف عن الحـاء فى (فرِح) فهى تأخذ مواقع الأصوات الصامتة، وتجرى مجراها، ولذا صح أن نذكرها مع الصوامت.

---

(١) (العربيـة) ص١٧٦ والصوتيات اللغوية ص ٢٠٩ ويذكـر الدكتور رمضـان عبد التواب أن نطق الجـيم غير معطشة -كالجيم القـاهرية- هو النطق الأصلى فى اللغات السامية فكلمة (جمل) -مـثلاً- فى اللغة العبرية هى: gamal (גמל) وفى الآرامية gamalá وفى الحبشية gamal، والنطق العربى الفصيح الآن يعد تحولاً عن هذا النطق السامى، من الطبق إلى الغار أى من أقصى الحنك إلى أوسطه، كما تحول من صوت بسيط إلـى صوت مزدوج يبدأ بدال من الغار ثم يـنتهى بشين مجهـورة، ولذا فإنه انحل إلى أحد عنصريه فى اللهـجات العربية الحديثة إذ ينطق كـالدال فى صعيد مصر، وينطق كـالشين فى الشام. انظر مجلة كلية اللغة العربية بالرياض العدد الخامس ص ١٠٨، ١٠٩.

والياء -ومثلها الواو التى ليست مداً- لهما وجه آخر إذ يمكن أن تتحول كل منهما إلى صوت لين طويل، وقد حدث ذلك فى بعض اللهجات الدارجة فإذا أميلت الفتحة قبل الياء والواو فى (بَيت ونَوم) تحول كل من صوتى اللين المركب (ai) و(au) إلى صوت لين خالص، فالياء أو الواو هنا حركة مشوبة بعنصر سكوتى، ولذا يمكن أن تسمى شبه ساكن أو شبه حركة، كما يقول فندريس[1].

والذى دعانا إلى ذكر الياء غير المدية مع الصوامت أن أهل صنعاء ينطقون هذين الصوتين (الياء والواو) غير المديتين، بصورة تفصلهما عن الفتحة قبلهما فيما إذا وقعتا عينًا فى مثل (بَيْت وصَوْم) ولهذا صلة قوية بالعربية الفصحى، ويختلف حالهما فى بيئات عربية أخرى، نتيجة لما حدث لهما من التغيير.

فبقاؤهما على الصورة الفصحى فى لهجة صنعاء مزية لا تتوافر لكثير من لهجات العرب المعاصرين.

وإلى جانب ذلك فالياء غير المدية -كما وصفها لنا علماء اللغة- تخرج من وسط اللسان، وهى صوت مجهور بين الشدة والرخاوة[2] وتنطق فصيحة فى لهجة صنعاء، كما تنطق فى غيرها من اللهجات الحديثة الأخرى:

ومن أمثلة ذلك: عَيْسووها -بَيْنعد-[3] ما علَيْكم -البَيْع- بَيْت إلخ.

د- حروف طرف اللسان مع أصول الثنايا العليا:

الطاء: يتفق القدماء والمحدثون، فى مخرجها المذكور ولكنهم يختلفون فى وصفها بالجهر أو الهمس، فيرى الأولون أنها مجهورة، والآخرون أنها مهموسة.

ولا تعارض بين الرأيين حقيقة، فالقدماء يتكلمون عن الطاء العربية الأصيلة، التى سمعوها من العرب، ودونوها فى كتبهم مخرجًا، وصفة، والمحدثون يتكلمون عن طاء أخرى مولدة هى التى ننطق بها الآن.

---

(١) اللغة ص٥١.

(٢) انظر كتابنا (العربية) ص ١٥٩ والصوتيات اللغوية ص ١٤٧.

(٣) أعد (من العدد).

ولقد سمعت من أهل اليمن ما يؤكد صحة مذهب القدماء فى نطق الطاء، فاليمنيون -بعامة- والصنعانيون -بخاصة- ينطقون صوت الطاء قريبًا من نطق الضاد المصرية وهذا النطق -حقًا- ينطبق عليه وصف القدماء للطاء العربية بالجهر.

فلو لاحظنا نطق الصنعانيين للطاء فى هذه الكلمات «طُلُعنا -شاخطَى- الطريق- مطنن[1]- مطهر- ليطفخنك[2]- الطيقان[3]- تتفرط[4]- اقطب[5]».

فإننا نجد هذا الصوت لا يشبه نطقنا الحديث للطاء، وإنما يشبه نطق الضاد المصرية، وهذا النطق ذاته مجهور، وينطبق عليه وصف علماء العرب فقد قال سيبويه «لولا الإطباق لصارت الطاء دالاً»[6] وردد ذلك القول ابن جنى[7].

والطاء - بالنطق الصنعانى كالضاد المصرية -لو زال منها الإطباق صارت دالاً، فيقولون فى (طلع) (ضلع) وهى -دون إطباق- (دلع)، كما نلاحظ فى نطق المصريين (ضرب) -مثلاً- إذ تصير دون إطباق (درب).

والذى يسوغ ذلك ويقويه أن الضاد المصرية تنطق من طرف اللسان مع أصول الثنايا العليا، موطن الطاء تمامًا، وليس موطن الضاد العربية الفصحى، إذ موطن الضاد العربية الفصحى. من جانب اللسان أو من كلا الجانبين ويخرج الهواء معها من الجانب أو الجانبين كما نص على ذلك علماء اللغة المتقدمون.

ويقول ابن الجزرى: «إن االمصريين ينطقون بالضاد المعجمة طاء مهملة»[8].

وإننا لو حاولنا أن نطبق كلام سيبويه على نطق الطاء الشائع بيننا الآن لكان التطبيق فاسدًا، فالنص الذى نقلناه يفيد أن الطاء العربية الأصيلة -مع زوال الإطباق- تصير دالاً، لكن الطاء -بالنطق الشائع- إذا زال عنها الإطباق -صارت

---

(١) مفكر. (٢) ليؤلمنك.

(٣) النوافذ الصغيرة.

(٤) تتنزه أو تقضى بعض الوقت عند الأصدقاء فى مناسبات كالزواج مثلاً.

(٥) أسرع. (٦) الكتاب ٢/ ٤٠٥.

(٧) سر الصناعة ١/ ٧٠، ٧١.

(٨) القول المفيد ص٧٥.

تاء فلو كان نطقها المألوف بيننا عـربياً فصيحًا لكانت عبارة سـيبويه على نحو آخر هو: لولا الإطباق لصارت الطاء تاء، لكن سيبويه لم يقل ذلك.

ثم إن عبارة سيبويـه -بعد ذلك- تقول: «ولخرجت الضاد من الكلام لأنه ليس شيء من موضعها غيرها».

فالضاد العـربية الأصيلة -إذا زال عنها الإطباق- لا يوجد لهـا نظير فى حروف العربية بخلاف الـضاد التى ينطقها المصريون الآن، فإذا زال إطبـاقها لم تخرج من الكلام، بل تنتقل إلى نظير معروف هو صوت الدال على الوصف الذى شرحنا.

وهذا يؤكد لنا أن نطق صنعاء هو العربى الفصيح، بل يمكن دون جدال أن نستدل به على صحة كلام علمائنا السـابقين فى وصف الأصوات العربية وأن الواجب علينا أن نعتبر كلامهم مقياسًا لنا نحتذيه فى دراساتنا الصوتية، فإذا كنا نعالج الأصوات فى لهجاتنا الحديثـة أو فى العربية الفصحى التى تجرى على لسانـنا اليوم. فعلينا أن نقوم تلك الدراسة بميزان كلام السابقين لأننا نثق فى صحته واستقامته.

وبهذا يندفع الـتهجم على سـيبويه من بـعض المحدثين[1] بأن سيـبويه قـد جانب الصواب أو على حد عبارة الناقد (أخطأ) فى وصف الطاء بالجهر، يقول: «وأما اعتبار الطاء مهجورة فلست أظن سـيبويه فيه إلا مخطئا، فكل طاء يـنطقها العرب فى أيامنا هذه مهموسة، ولو كـان لجيل سيبويه من العرب طاء مخالفـة لبقيت، ولو فى لهجة عربية منعزلة غير هامة، وإذ لا نجد طاء مجهورة فى كلام العرب المعاصرين، ولا على ألسنة القراء فلا بد أن نميل إلى اعتبار سيبويه مخطئًا فى وصف الطاء بالجهر»[2].

فهـذا القـول -كمـا نرى- مبنى على التـسرع فى الحكم دون اسـتقـراء واسع للهجـات العربية الحـديثة، فحكم الدكـتور تمام بعـدم بقاء الطاء العربيـة الأصيلة المجهورة، فى أية لهـجة ولو منعزلة غير هامة حكم مـبنى على النظر دون محاولة لمعرفة واقع بعض اللهجات الدارجة، فالواقع يشهد بخلاف ما قال، فلهجة صنعاء تحمل النطق العربى الأصيل وتنفى الرأى الذى ذهب إليه.

---

(١) الدكتور تمام حسان.

(٢) مجلة الأزهر العدد السابق ص ١٠٨.

والطاء التى تجرى على ألسنتنا اليوم طاء حديثة، لم تعرفها العربية من قبل، وهى مهموسة كما يقول المحدثون؛ لأن هذا الوصف ينطبق عليها، وتبقى لهجة صنعاء -كغيرها من لهجات البدو-[1] معبرة عن النطق العربى الفصيح لهذا الصوت.

الضاد: يقول اللغويون: إن هذا الصوت - على حسب نطق العرب الفصحاء- يخرج من أول حافة اللسان وما يليها من الأضراس، مع تكلفه من أحد جانبى اللسان -الأيمن والأيسر- أو منهما معًا[2] وقد وصفوه بأنه قليل الشدة لخروج الهواء معه على جانب اللسان أو الجانبين.

وتنفرد العربية بهذا الصوت دون سائر اللغات الأخرى حتى عدت «لغة الضاد» وعرفت بهذا اللقب بين اللغات العالمية.

وقد حاول الباحثون حديثًا تصويره لنا.

فالمستشرق برجشتراسر يرى أنه -بصورته العربية الأصيلة- كان قريبًا من اللام، إذ يشترك معها فى كونه من حافة اللسان، واستدل لذلك بإبدال اللام من الضاد - عند بعض العرب- مثل (الطجع) فأصلها (اضطجع) ومنه قول الشاعر:

لما رأى ألا دعه ولا شبع ... مال إلى أرطأة حقف فالطجع[3]

وعند عرب الأندلس أيضًا، وقد ورث الأسبان عنهم هذا النطق فى الكلمات العربية التى دخلت الإسبانية، فكلمة «القاضى» -مثلاً- ينطقونها alcalde[4].

والملاحظ -حديثًا- أنها تنطق كالظاء فى لهجات الجزيرة العربية، والعراق، وقرئ بها قوله تعالى -فى سورة التكوير- ﴿وَمَا هُوَ عَلَى الْغَيْبِ بِضَنِينٍ﴾ [التكوير: ٢٤] واتخذ بعض الباحثين من ذلك دليلاً على صورة الضاد العربية القديمة[5].

---

(١) يلاحظ أن بدو ساحل مريوط لم يتضح عندهم هذا النطق، ويظهر أنهم يسيرون على نهج بقية أهل مصر، انظر لهجة البدو فى إقليم ساحل مريوط ص ٤٧.

(٢) سر الصناعة ١/ ٥٢.

(٣) انظر كتب النحو ومنها: أوضح المسالك مع المنار ٢/ ٣٧٨.

(٤) التطور النحوى ص١٠.

(٥) المصدر السابق ص١١ والأصوات اللغوية ص٥٠ والتجويد والأصوات ص ٤٤.

ويبدو لنا -حسبما نسمع فى الجزيرة العربية- بعامة- وفى صنعاء- بخاصة- أن هؤلاء الناطقين يجعلون الضاد ظاء حقيقية بإخراجها من طرف اللسان مع أطراف الثنايا العليا، اللهم إلا عددًا قليلاً من أهل صنعاء التقيت بهم وحاولوا نطق هذا الصوت أمامى، فوجدت لسانهم -حين النطق به- يتجه إلى أحد جانبى اللسان، لكن فى صورة قلقة، لا تمثل -تمامًا- هذا الصوت الذى اختفى من الاستعمال.

ومع ذلك ينطقه بعض القراء المجيدين للقراءات بفصاحة ويمثل ذلك بعض علماء القراءات بفصاحة أيضًا.

بيد أنى اعتبرت ذلك أمارة حقيقية على صحة كلام علمائنا القدماء، فى تحديد مخرجه، وصفته، لأن وجود بعض القبائل التى تتجه بحافة لسانها إلى الجانب، ووجود بعض القراء والعلماء الذين ينطقونه يؤكد أن العربى الفصيح، كان يخرج الضاد على النحو المعروف فى كتب الأصوات العربية، وقد أدى مرور الزمن، وتطاوله، واختلاف البيئات التى عاش فيها الأبناء عن بيئات الأجداد، إلى تطوره، كما نلهج به ونسمعه الآن.

ومن أمثلة الضاد فى صنعاء قولهم: يقضى- الماضى- الحاضر- نضوى[1]- أخضع[2].
ظ ظ ظ ظ ظ

وينطق المصريون هذا الصوت بالتقاء طرف اللسان وأصول الثنايا العليا التقاء محكمًا، فأصبح شديدًا لا قليل الشدة، ويشيع هذا النطق الآن على لسان كثير من قراء القرآن الكريم بمصر، وهو -بهذه الصورة- مستعار من صوت الطاء العربى الفصيح، كما ذكرنا ذلك من قبل.

والذى أريد قوله -هنا- أن صوت الضاد قد تطور بنطقه ظاء، أو بتحوله إلى صوت الطاء القديم.

التاء: مخرجها طرف اللسان مع أصول الثنايا العليا، وتوصف بالهمس عند القدماء والمحدثين جميعًا.

---

(١) نعود.

(٢) أحمق.

وتنطق بمخرجها العربى الفصيح فى صنعاء، مع نوع من التفخم، الذى يلائم طبيعة البادية، والحياة فيها، ويمكن ملاحظة ذلك فى نطقهم هذه الكلمات: قلت- بتخايلك[1]- تحت- اختو شين على[2].

ويظهر أن هذا التفخيم ليس خاصًا بالتاء، فهم -بصفة عامة- يفخمون الأصوات، ويبرزونها قوية خشنة.

الدال: من تلك المجموعة التى تخرج من طرف اللسان على النحو السابق، وأهم ما تتصف به الجهر، والشدة.

وقد لاحظت أن نطق هذا الصوت فى صنعاء، يميل به نحو الهمس -قليلاً- حينما لا يقع تحت تأثير غيره من الأصوات المجاورة له، فهو يظهر مائلاً إلى صوت التاء المهموسة وتأمل معى نطقهم لهذه الكلمات: ادى لنا -دارى- مدارى- الوساید[3]- دخلنا- مقصدى.

هـ - حروف طرف اللسان مع أطراف الثنايا العليا:

الظاء: من أصوات هذا المخرج، وأهم ما يتصف به الجهر، والرخاوة، والإطباق.

وينطق -فى لهجة صنعاء- بصفاته العربية الفصيحة، وبخاصة الإطباق الذى يتمثل فى بروزه واضحًا، بتفخيم ظاهر، بخلاف ما ينتشر فى البيئة القاهرية من ترقيق هذا الصوت، وقربه فى النطق من صوت الزاى.

فيمكن أن نحس فيما يجرى حيًا على لسان الصنعانيين بتمثل المخرج والصفات كاملة لهذا الصوت كما هو مذكور فى كتب اللغة، ونلاحظ ذلك من سماع التسجيل الصوتى للكلمات الآتية:

ظهرى- الظُّهر- الظاهر- يحفظش[4].

الذال: من أصوات طرف اللسان مع أطراف الثنايا العليا، وهو مجهور رخو.

---

(١) يخيل إليك. (٢) التبست الأمور علىّ.

(٣) ما يتوسد به من حشو القطن ونحوه.

(٤) خطاب للمؤنثة بتحويل الكاف شينًا وأصله: يحفظك.

وينطق بفصاحة فى مدينة صنعاء، ولعل سائر مناطق اليمن الشمالية كذلك، فهم يخرجون لسانهم، بحيث يبدو الصوت من طرف اللسان حين يتصل بأطراف الأسنان المعروفة بالثنايا- بوضوح جلى.

ويبدو ذلك من الاستماع إليهم، ومن أقوالهم المدونة مثل: الذى- ذِرِه- ذا الحين[1]- ذقت- أذان- جهال ساع الذر[2].

ويتبين -من هذا وغيره- صحة النطق الصنعانى للذال، وبقاء هذا الصوت الذى يحتاج إلى دقة فى استخدام أعضاء النطق.

ولذا انحرف فى بيئات عربية أخرى، ففى مصر -مثلاً- قد تحول -أحيانًا- إلى صوت الزاى الذى هو من طرف اللسان وأصول الثنايا العليا فالفعل «ذهب» يقولون فيه «زهب» «ذنب» ينطقونه «زنب».

وأحيانًا تحول الذال إلى حروف أخرى، كالدال فى مثل (دهب- للمعدن المعروف- و(دبل) فى (ذبل) للخضراوات ونحوها- و(يدبح) فى (يذبح) وغير ذلك كثير، بيد أن الدكتور مطر يذكر أن بدو ساحل مريوط لا يزالون يحتفظون بهذا الصوت[3].

وقد لاحظت أن بعض الحجازيين القاطنين بالرياض يبدلون الذال دالاً فيقولون: هدا بدل هذا مثل قولهم: أعطنى من هدا ومن هدا - ودحين بدلاً من قول الصنعانيين: (ذا الحين) بإبدال الذال دالاً. أما سكان الرياض النجديون فينطقون الذال عربياً فصيحًا.

الثاء: من أصوات طرف اللسان مع أطراف الثنايا العليا، مهموس، رخو.

وقد بقى بنطقه الصحيح فى لهجة صنعاء، -كسابقه- فلسان العرب -هناك- يرتفع طرفه بحيث يتصل بأطراف الثنيتين العليين، فى صورة تحمل الطابع الأصيل

(١) هذا الوقت.

(٢) أطفال مثل الذر فى كثرة عددهم.

(٣) لهجة البدو ص٤٥.

ويمكن إدراك ذلك مما يوجد فى النصوص المسجلة، وما لاحظته بالمشافهة، فى مثل: ثلاثة وثلاثين -كثرة- أغثى[1] -الحراثات- ثوم.

وهكذا نلاحظ النطق العربى لهذا الصوت الذى يحتاج إبرازه إلى جهد[2] بخلاف ما طرأ من تطور فى كثير من اللهجات العربية الحديثة، ففى لهجة مصر -مثلاً- انقلبت الثاء تاء فى بعض الكلمات مثل: تلاته وتالت فى (ثلاثة وثالث) وسينًا فى بعضها الآخر مثل (سبت) فى (ثبت) و(بحوس) فى (بحوث)، فترى أنها انتقلت من الثاء إلى حرفين آخرين فيهما نوع من الارتكاز الذى يقلل من الجهد العضلى.

وقد احتفظت بهذا الصوت لهجة بدو ساحل مريوط[3] ولهجة نجد الحديثة، فقد سمعته بالرياض عربيّاً فصيحًا.

و- حروف طرف اللسان مع اللثة العليا:

اللام: من هذا المخرج، وهو مجهور متوسط بين الشدة والرخاوة -كما يرى معظم الباحثين قديمًا وحديثًا- فهو من مجموعة الحروف المتوسطة (ل- ن- م- ر)، وهو -أيضًا- من الأصوات الواضحة (ل- ن- م)، وسميت هذه المجموعة بذلك؛ لأن نسبة وضوحها فى السمع أكثر من غيرها من الأصوات الساكنة، ولذا عقد علماء اللغة شبهًا بينها وبين أصوات اللين، إذ إنها ليست بالشديدة التى يسمع لها دوىّ وانفجار، وليست بالرخوة التى تسمح للهواء بالمرور المطلق، وهذا مستمد من وصف القدماء لها بالتوسط بين الشدة والرخاوة[4].

ولكن سيبويه يعتبر هذه الأصوات شديدة، ونظرته تلك مبنية على تعريفه للصوت الشديد فهو -عنده- (ما يمنع الصوت[5] أن يجرى فيه)[6] ويبدو من

---

(١) أتألم.

(٢) إذ لابد لذلك من اتصال طرف اللسان بأطراف الثنايا العليا بصورة تتطلب حذرًا ودقة.

(٣) لهجة البدو ص٤٤.

(٤) الأصوات اللغوية ص٥٢، ٥٣ وانظر كتابنا (العربية) ص١٨٠ والصوتيات اللغوية ص ٢١٤، ٢١٥.

(٥) الهواء.

(٦) الكتاب ٢/٤٠٦.

كلامه أن الشـدة عنده ملحوظ فيها إقـفال المجرى الفموى وإن كـان مجرى الأنف مفتوحًا، والهواء مع اللام ينحبس بإقفال الفم باللسان وإن اتجه إلى طريق الأنف.

ولكن أحـدًا من العلماء لم يوافـقه على هذا الرأى فـما دام الهواء يـخرج عن طريق الأنف فهو متوسط، لأن الشدة تعنى حـبس الهواء مطلقًا، واللام لم يتحقق فيها ذلك، لأن الهواء معها يخرج من الأنف، وإن أقفل مجرى الفم.

وهذا الصـوت يخرج -فى الاسـتعـمال الصنعـانى- من مكانه الطبيـعى، وله صفات النطق العربى الفصيح ويتضح ذلك من مثل: صلين[1] -نزلنا- نصلى-.

الراء: من المخـرج المذكور، مـجهور مـتوسط كـسابقـه، ويعد -كـذلك- من الأصوات الواضحة التى أشرنا إليها.

ويوصف بأنه مكرر؛ لأن اللسان تـتكرر حركته واتصـاله باللثة العليا أكـثر من مرة، حال النطق به.

وينطق فصيحًا فى صنعاء، مثل: أنت عـتقنبر أو عتسير؟[2] -أبرد لك يا رجال[3] -لا حال بك شر[4]- دفرت القبائل وفكوا السمسرة[5].

النون: من هذا المخرج، إلا أن الأنف يشارك الفم فى خروجه، فالهواء معه يمر إلى نهاية الفم، ثم يتجـه إلى الأنف، حين يتصل طرف اللسان باللثة فـيخرج منه محدثًا الصوت المعروف بالغنة.

ويوصف هذا الصـوت بالجـهر، والتـوسط بين الشـدة والرخاوة، وهو رفـيق الصوتين السابقين (ل-ر) فى مجموعة الحروف الواضحة.

ونطقه -فى لهجـة صنعاء- فصيح كما يتـضح من الكلمات الآتية: نذقناه[6] - النوم- ساليين[7]- بنذبحهن[8].

---

(١) إلى أين؟ (٢) أتجلس أو تسير؟

(٣) اسكت يا رجل. (٤) لا نزل بك مكروه.

(٥) دخلت القبائل بكثرة وفتحوا السمسرة -وهى بناء معروف تحفظ فيه الأموال.

(٦) استغنينا عنه وألقينا به.

(٧) مسرورين. (٨) يريد: نذبح الغنم.

ز- حروف طرف اللسان مع أطراف الثنايا السفلى:

السين: من أصوات هذا المخرج، ويصفه علماء اللغة بالهمس، والرخاوة، كما أن له خاصية الصفير، وهو صدور صوت مصاحب له يشبه صفير الطائر.

وينطق عربياً فصيحًا فى لهجة صنعاء، ومن أمثلة ذلك:

سرنا -جلسنا- خلست الستر[١]- أجّس[٢].

الزاى: من أصوات هذا المخرج، وهو مجهور، رخو، وله -كسابقه- خاصية الصفير.

وينطق فصيحًا فى اللهجة المدروسة، ومن أمثلة ذلك:

زوجش[٣] -نكّزتنى[٤]- بيزاوطنى[٥].

الصاد: من أصوات هذا المخرج، وهو مهموس، رخو، ويمتاز -كالصوتين السابقين- بأن له صوتًا يشبه صفير الطائر حال التفوه به.

وينطق فصيحًا فى صنعاء، إذا لم يتأثر بغيره، أو بموقع خاص، ومن أمثلة ذلك:

الصبوح[٦] -العصيد[٧]- الرصده[٨].

ح- حروف الشفة مع الأسنان:

وهذا خاص بصوت:

الفاء: فهو شفوى أسنانى، مجهور شديد.

---

(١) خلعت المعطف.

(٢) يظهر أنها من (الهجس) الذى يمر بنفس الإنسان فيجعله يكثر من الكلام والتخيل.

(٣) زوجك. (٤) أيقظتنى.

(٥) يجرى ورائى محاولا اللحاق بى.

(٦) طعام الإفطار.

(٧) نوع من الأكل مصنوع من طحين الذرة المخلوط بالسمن.

(٨) الطريق المعبدة.

وينطق فصيحًا فى اللهجة المدروسة، ومن أمثلة ذلك:

افتهنت[١] -فيسع[٢]- فتوت[٣]- الفلاحش[٤]- تتفرطين[٥].

ط- حروف الشفتين:

الباء: تخرج من بين الشفتين، وهى صوت مجـهور شديد، وينطق فصيحًا فى لهجة صنعاء.

ويبدو فيها مفخمًا قليلاً، حـتى أدى ذلك إلى استعماله -أحيانًا- بصورة لا تعهدها العربية، كصوت (P) فى اللغات الأجنبية.

ومن أمثلة النطق الشائع: قبل -باقى- مابش[٦]- يا حجاب الله[٧].

ومن النطق پاء (P) ثقيـلة ما قرأته فـى أحد النصوص المسـجلة وهو: القـبايل هجمت البير مع الظلمة مكنش په مثل الوقت الحاضر[٨].

ويذكر الدكتور رمضان عبد التواب أن الپاء الثقيلة (P) مهموسة، وهى -أصلاً- كانت موجودة فى اللغـة السامية الأم، وقد تطورت إلى (فاء) فى اللغـات السامية الجنوبية، وهى: العـربية، والحبـشية، وبقى الأصل كمـا هو فى اللغات السامـية الشمالية، وهى: العبرية، والآرامية والأكادية.

ومثال ذلك: palag ( ) فى العبرية = plag ( ) فى الآرامية بمعنى: شق فـيـهمـا = Palag فى الأكـادية بمعنى: قناة = Falag ( ) فى الحبشية، بمعنى: جدول = «فلْجٌ» و «فَلَج» فى العربية، بمعنى: شق[٩].

---

(١) استرحت. (٢) بسرعة.

(٣) قطع من الخبز مع السمن أو الزبد.

(٤) الأشياء غير المهمة التى لا تفيد صاحبها.

(٥) التفرط: لقاء النساء فى حفل زواج أو ولادة أو نحو ذلك.

(٦) لا يوجد. (٧) أسلوب تعجب.

(٨) دخلت القـبائل هذا المكان فـجأة، وقت شـدة الظلام فلم تكن الكهـرباء أو غيـرها من وسائل الإضـاءة موجودة فى هذا الوقت الماضى كما هى الآن.

(٩) مجلة كلية اللغة العربية بالرياض -العدد الخامس- ص ١٠٧، ١٠٨.

الميم: من أصوات الشفتين، وهو مجهور، متوسط بين الشدة والرخاوة.

ويمتـاز -كذلك- بخاصيـة مرور الهواء معـه من الأنف بعد انطباق الشفـتين، انطباقًا تامًـا، فتسدان مجرى الهـواء الفموى، وتجعلانه يتجـه إلى مجرى الأنف، محدثًا ما يعرف لدى القراء باسم (الغنة).

وهذا الصوت يخرج فصيحًا فى لهجة صنعاء.

ومن أمثلة ذلك:

نقمبر[١] - مسقوفة(٢) - المجزرة[٣] - عيذ لجم[٤] - المصْون[٥].

ج ج

---

(١) نجلس.

(٢) ذات سقف.

(٣) محل بيع اللحم.

(٤) سيطير.

(٥) قطعة من القماش تضعها المرأة على رأسها.

٢- الأصوات الصائتة

أطلق المحدثون تلك التسمية -كما ذكرنا- على أصوات المد (واى) والحركات القصيرة ويسمونها -كذلك- «أصوات اللين» Vowels ولهذه الأصوات أهمية خاصة فى الدراسة، لأنها صعبة النطق فى اللغات الإنسانية المختلفة، بحيث لا يستطيع أحد أن يقلد نطقها فى لغة أخرى غير لغته الأصلية، إلا بالتعلم والتلقين الدائبين، ومع ذلك فإنه لا يحسن نطقها -غالبًا- كما يحسنه أهلها الأصليون، فيصعب على الإنجليزى تقليد النطق الفرنسى لهذه الأصوات، والعكس صحيح أيضًا، كما أن الألمانى لا يمكنه تقليد أحد النطقين المعروفين عند الإنجليز والفرنسيين، وذلك لما لهذه الأصوات من طبيعة خاصة بها تختلف بين هذه اللغات (الإنجليزية -الفرنسية- الألمانية) وكذلك شأن العربية بين هذه اللغات.

وفى لهجات اللغة الواحدة -أيضًا- يختلف نطق هذه الأصوات ففى اللهجات الحديثة للغة العربية نلحظ هذا الاختلاف، ففى اليمن والمملكة العربية السعودية- يقولون فلان (جا) والناس (جوا) على اختلاف فى طريقة نطق الألف، وفى مصر نجد بعض المناطق تنطق الفعل (جاء) (جه) وبعضها تنطقه (إيجه) ويقولون: الناس (جُم) إلى غير ذلك من وجوه النطق المختلفة فى تلك اللهجات وغيرها مما ينطق فى سائر أقطار الوطن العربى.

وفى اللهجات العربية القديمة يختلف نطق الألف فتحًا وإمالة عند قبائل الحجاز وقبائل شرقى الجزيرة ووسطها، كما نقلت لنا كتب اللغة ويتداول حتى الآن فى العربية الفصحى[1].

وهكذا نرى أن الألف قد اختلف نطقها بين طوائف متعددة، مع أنهم أرباب لغة واحدة تشمل لهجات هؤلاء جميعًا هى العربية الأم الفصحى.

---

(١) انظر مجلة كلية اللغة العربية بالرياض -العدد السادس- ص ١٥٠، ١٥١ من بحث بعنوان (تفسير بعض مشكلات العربية الفصحى) وانظر ص ١٧٣ وما بعدها من هذا الكتاب.

ولهذه الأصوات خصائص اكتشفها الباحثون حديثًا أهمها:

١ - أنها واضحة، فتسمع عند نطقها بكل صفاتها، بخلاف الصوامت التى تحدثنا عنها فهى كثيرًا ما تخفى على السامع[١].

٢- أنها شائعة فى التركيب اللغوى، فلا تخلو منها كلمة، فلذا يكثر الخطأ فى نطقها، ويتجلى ذلك فيما ذكرناه من وجوه نطق الفعل (جاء).

٣- أنها مجهورة -تحرك الأوتار الصوتية حال نطقها- بخلاف الصوامت فبعضها مجهور، وبعضها مهموس (لا يحرك الأوتار الصوتية حال النطق به).

وقد عرف علماؤنا القدامى طبيعة الصوائت فتناولوها فى بحوثهم، وكانت لهم نظرات ثاقبة فى إدراك خصائصها الصوتية إلا أنهم أطلقوا عليها تسميات مختلفة[٢].

ولما كانت للصوائت طبيعتها التى لا تثبت على حال واحدة، فقد آثرت أن أصفها -فى لهجة صنعاء- حين تبدو بوضعها الطبيعى، وعند حديثى عن التغيرات الصوتية أفصل ما يطرأ عليها من تغير واختلاف فى تلك اللهجة وستكون لهجة صنعاء دليلاً عمليًا ميدانيًا على التغيرات الكثيرة التى تعتور هذا النوع من الأصوات.

والصوائت -كما عرفناها- حروف المد والحركات (الفتحة -الكسرة- الضمة) ويطلق على أصوات المد اسم «أصوات اللين الطويلة» وتسمى الحركات: «أصوات اللين القصيرة» وتنطق جميعها فى لهجة صنعاء -فى بعض مقامات القول- نطقًا يتفق مع العربية الفصحى مثل:

قالوا: -كمسيتو؟[٣] -مساكم بالخير والعافية[٤]- الله يعافيش[٥] يا أختى هيا خاطركم[٦]- عتسيروا بيت فلان؟

---

(١) انظر ص ٤٧٠، ٤٧١ من هذا الكتاب.

(٢) انظر كتابنا (العربية) ص ١٤٧ وما بعدها وكتابنا: الصوتيات اللغوية ص ١٢٠ وما بعدها.

(٣) كيف أمسيتم؟

(٤) جعل الله مساءكم خيرًا وعافية

(٥) تلاحظ هنا الكشكشة المعروفة عند العرب وهى قلب الكاف فى خطاب المؤنث شينًا.

(٦) نستودعكم الله.

فلو لاحظنا الحركات فى العبارات السابقة نجدها تشمل أنواع أصوات اللين الطويلة (وای) وأصوات اللين القصيرة (ـَـِـُ) ومعظم ما ورد منها يمثل فى اللهجة النطق العربى الفصيح، وإن كان يبدو على النطق الصنعانى بعض السرعة البدوية التى تجعلهم لا يوفونها حقها من المد اللازم لها، أو بعبارة اللغويين لا يجعلونها -بوجه عام- تستغرق الوقت المقرر لها، لأنهم يعتمدون على سرعة النطق المعروفة بين هذه القبائل وغيرها ممن نشأوا بالبادية.

كما يلاحظ على نطقهم لهذه الأصوات نوع من النبر الشديد، ويبدو ذلك -بوضوح- فى صوت الألف الذى يتمثل لسامعه وكأنه همزة، لا ألف لينة، كما أن الواو الطويلة يبدو عليها لون من الخطف السريع.

وهم يقصرون الحركات الطويلة، ويطيلون الحركات القصيرة فى مناسبات عديدة، وسوف نأتى على ذلك فيما بعد.

ثانيًا: الأصوات حين تتأثر بغيرها

١- الصوامت

فى لهجة صنعاء طائفة من الأصوات الصامتة تتأثر بغيرها، فيعتريها الإبدال والقلب، وسنبين -هنا- اتجاهاتها، والقوانين التى تحكمها.

الهمزة:

تخلصت اللهجة الصنعانية من صوت الهمزة، فى كثير من مواقعه، بالحذف أو التسهيل، كما أنها أبدلته من حروف العلة، فيما اصطلح عليه بنبر الهمز.

أما الحذف فيبدو فى مواقع مختلفة من الكلمة، أولاً، ووسطًا، وآخرا، فمثال حذفها أولاً:

لعمال[١] -حدًا[٢]- لجل[٣]- أين نت[٤]- صلين[٥]- شرقد[٦] وحمل حمله[٧]- يا بى[٨]- لخى[٩]- كمسيتو[١٠]؟

ومثال حذفها وسطًا:

مرة[١١]- فجة[١٢].

ومثال حذفها آخرًا:

شى[١٣]- غدا- عشا- جا[١٤]- جوا[١٥]- جِتْ[١٦].

---

(١) الأعمال.
(٢) أحد.
(٣) لأجل.
(٤) أين أنت.
(٥) إلى أين.
(٦) سأرقد.
(٧) وأحمل حملة أى أسرع.
(٨) يا أبى.
(٩) لأخى.
(١) كيف أمسيتم؟
(١١) مرأة.
(١٢) فجأة.
(١٣) شىء.
(١٤) غداء -عشاء- جاء.
(١٥) جاءوا.
(١٦) جاءت.

التحليل اللغوى للحذف:

يتبين من الأمثلة السابقة أن الهمزة فى لهجة صنعاء تحذف وسطًا، كما تحذف آخرًا، ولا تحذف أولاً إلا فى حالة الوصل فى معظم الأحيان أما فى غير حالة الوصل، فإن الصنعانى ينطقها دون حذف.

وحذفها يتجه إلى التخلص من مقطعها الذى يحتاج إلى ضغط وشدة، لتتجه الكلمة ناحية السهولة.

ويلجأ الصنعانى إلى حذف الهمزة أولاً، للتخلص منها، اختصارًا لمقطعها مثل: لا حدا -لخى، وفى حالة الوصل يعمد كثيرًا إلى حذف الهمزة التى كانت جزءًا من مقطع مغلق، تبتدئ به الكلمة، ويكون من الصوت الساكن السابق لها والصوت التالى لها مقطعًا مغلقًا جديدًا، كما فى شرقد -وحمل- لجل، ولعمال- أين نت إلخ.

ويبدو أن العربى -آنذاك- يعامل الهمزة المحققة معاملة همزة الوصل فى حذفها إذا وقعت فى درج الكلام.

وقد يحول الصنعانى المقطع المغلق فى أول الكلمة إلى مقطع مفتوح فكلمة (مرأة) ينطقها (مرة)، وكلمة (فجأة) ينطقها (فجة) كما سبق ويتوصل لذلك بتحريك الساكن، أو بنقل حركة الهمزة إلى الساكن قبلها.

وفى آخر الكلمة تتخلص اللهجة من مقطع الهمزة، كما فى غدا -عشا- جا وكذا إذا اتصلت الكلمة المشتملة على الهمزة بغيرها، كما إذا كانت فعلاً اتصل بضمير أو علامة تأنيث -مثلاً- فإن مقطع الهمزة يحذف، وينشأ مقطع مغلق من المقطع المفتوح الذى قبلها، والضمير أو علامة التأنيث فمثلاً: (جاءوا) و(جاءت) يقول فيهما، (جوا) -(جِت) فيحول اللين الطويل إلى لين قصير يتصل بالصوت التالى للهمزة، فيكون معه مقطعًا مغلقًا جديدًا، وبذلك تصير الكلمة مكونة من مقطع واحد مغلق، بعد أن كانت تشتمل على مقطعين أحدهما مفتوح والآخر مغلق.

أما التسهيل فلم يأت أولاً، لأنهم اكتفوا بالحذف بدلاً منه، ولكن يبدو من تتبع كلامهم وقوعه وسط الكلمة، وفى آخرها.

فمثال وقوعه وسطا:

ملان[١] -هولاك[٢]- جاوع[٣]- خايف[٤]- بير[٥].

ومثال وقوعه آخراً:

نابى[٦] -شانبى[٧]- جشيت جشوه[٨]- أبطيت[٩]- خبّيته[١٠]- جى جى[١١].

التحليل اللغوى لتسهيل الهمزة:

التسهيل أحد طرق التخلص من الهمزة، وهو ظاهرة لغوية بارزة فى لهجة صنعاء، نلاحظها حين تقع الهمزة وسطًا أو آخرًا، أما إذا وقعت أولاً فإنه لا يتأتى التسهيل.

ويبدو أن الصنعانى -أحيانًا- يحول المقطع الذى وقعت فيه الهمزة -إذا كان مغلقًا- إلى مقطع مفتوح، وهو -مع ذلك- ينشئ صوت لين طويلاً، كما فى بير -ذيب- ماجور- راس- فاس- لوم- جى جى، فأصلها: بئر -ذئب- مأجور- رأس- فأس- لؤم- جيء جيء.

وقد يكون التغيير فى أكثر من مقطع، مفتوح ومغلق، مثل: ملان -شانبى.

وهو -كذلك- يحول الهمزة إلى واو أو ياء -ليستا مداً- إذا كانت مضمومة أو مكسورة، كما فى هولاك، خايف، ونلاحظ أنه يحول الهمزة غير المضمومة إلى واو -فى بعض الأحيان- إذا تأثرت بالضم السابق عليها كما فى جشوة، ونحوها.

---

(١) ملآن.
(٢) هؤلاء.
(٣) جائع.
(٤) خائف.
(٥) بئر.
(٦) نبأ (خبر).
(٧) سانبئ بمعنى: سأخبر.
(٨) جشأت جشأة.
(٩) أبطأت.
(١٠) خبأته.
(١١) جيء جيء.

وقد بقيت آثار لهجية تؤكد إحساس الناطقين بأصول الكلمات كما فى نطقهم كلمتى (جاوع) و(جاوعين) بالواو دون الياء، مع أنها مكسورة وكان مقتضى كسرها أن تقلب على حسب طريقتهم ياء. كما فى (خايف) ونحوها، فهذا منهم دلالة على أصل الواو التى تحولت إلى همزة فى الفصحى.

وقد يبدلون الهمزة ياء فيما يعرف بالتخفيف البدلى، مثل: جشيت -أبطيت- أخطيت، وكان ينبغى إطالة اللين القصير قبل الهمزة المبدلة، فيقال: جشات، أبطات، أخطات، على حسب القياس المتبع فى تخفيف الهمزة، فإذا كان قبلها فتحة أصبحت ألفًا، وإذا كان كسرة أصبحت ياء، وإذا كان ضمة أصبحت واوًا.

والتخفيف بنوعية القياسى والبدلى وارد عن العرب، قال ابن الأنبارى «ويقال أردأت الرجل وأرداته وأرديته، فمن قال: أرداته لين الهمزة، ومن قال: أرديته انتقل عن الهمز، وشبه أرديت بأرضيت، ومثل هذا قول العرب: قرأت بتحقيق الهمز، وقرات بتليين الهمزة وقريت بترك الهمز، والانتقال عنه إلى التشبيه بقضيت ورميت[1]».

وتحليلنا لهذه الظاهرة -فى لهجة صنعاء- يرينا أنها لجأت- كغيرها من اللهجات الحديثة- إلى تسهيل الهمز والتخلص منه، وهذا خاضع لما يسمونه بقانون السهولة، فاللغات -فى تطورها- تجنح إلى الخفة فى أصواتها، فتتخلص من الأصوات الشديدة الصعبة، وتلجأ إلى السهل من الأصوات -غالبًا- لأن المتكلم يفضل أن يقتصد فى الجهد العضلى، ليريح نفسه من العناء والمشقة اللازمة لنطق الأصوات الصعبة، ولكن هذا القانون غير مطرد، «فليس معنى هذا أن قانون السهولة والتيسير ينطبق على كل الحالات، وإنما يمكن تطبيقه على كثير من التطورات الصوتية فى اللغة، فإذا وجد الباحث أن التطور الصوتى كان عكسياً أى من السهل إلى الصعب -كما وجد فعلاً فى بعض الحالات- فعليه أن يبحث عن أسباب أخرى خاصة، تسوغ هذا التطور، وهو -لا شك- سيجدها فى ظروف خاصة باللغة التى قد يحدث فيها هذا النوع من التطور، فليس ينقض هذا القانون أن نجد أحيانًا أصواتًا سهلة تطورت إلى أصعب منها فى بعض الحالات»[2].

(١) الأضداد ص ٢٠٨.

(٢) الأصوات اللغوية ص ٦٩.

وقد اتجهت الهمزة إلى التسهيل لأنها صوت حنجرى انفجارى شديد يحتاج إلى جهد عضلى كبير، ولذا تخلصت منها فى القديم قبائل عربية فصيحة كقبائل الحجاز، على حين احتفظت بها قبائل البادية كتميم ومن جاورهم، فبيئة الحجاز المتحضرة -وبخاصة قريش فى مكة والأوس والخزرج فى المدينة- كانت تسهل الهمزة، وبيئة وسط الجزيرة وشرقيها -كتميم وقيس وأسد ومن جاورهم- كانوا يحققونها.

وقد تأثرت بهم بعض القبائل الحجازية فحققوا الهمزة، وسماهم سيبويه أهل التحقيق(١).

وهذا كله قائم على أساس اختلاف اللهجات وشئون الاجتماع العربى فالقبائل البدوية تميل إلى الأصوات الشديدة فى نطقها، لأن طبيعتها تتناسب مع الفرقعات، والأصوات السريعة، على حين تميل القبائل الحضرية إلى رخاوة تلك الأصوات(٢).

وإذا كانت البيئة الصنعانية تعد من البيئات المتحضرة التى لجأت إلى التخلص من الهمزة بالحذف والتسهيل، فإن بقايا لهجية هناك لا تزال تحمل طابع البادية، كقلب حروف العلة إلى همزات فيما يعرف بنبر الهمز، كما نسمعها بالأذن المجردة فى نطق كلمات مثل: (هيأ)(٣) -(هانأ)(٤)- (مكأن)(٥)- (كتأب)(٦)- (سوُئ)(٧)- (جؤا)(٨)- (تخطئ)(٩)- (بئع)(١٠)- (خصمئ)(١١).

فالسامع لذلك يحس فرقعة شديدة تتناسب مع البدو وذلك يتمثل فى نطقهم للألف والواو والياء، وكأنهم ينطقون همزة لا حروفًا لينة.

---

(١) انظر بحثنا فى مجلة كلية اللغة العربية بالرياض -العدد السادس- ص ١٤٠، ١٤١.
(٢) المصدر السابق ص ١٢٥.
(٣) أصلها: هيا.
(٤) أصلها: هنا.
(٥) مكان.
(٦) كتاب.
(٧) كلمة تعنى الاتفاق.
(٨) جاءوا.
(٩) تخطو.
(١٠) بيع.
(١١) خصمى.

ومعنى ذلك أنهم ينتقلون من السهل إلى الصعب، لكن النظرة المتأنية تدرك أن هذا -فى الحقيقة- يرجع إلى طبيعتهم التى كانت متأصلة فيهم، وهم يعيشون حياة بدوية خالصة.

ويمكن أن نطبق ذلك على تحويلهم الفتحة الطويلة فى (ما) النافية إلى صوت العين الحلقى حين ينطقونها (مَعْ) التى يستعملونها للنفى فإذا قلت لأحدهم: هل ذهبت إلى البيت؟ أو هل قابلت فلانًا؟ وأراد النفى قال لك: (مَعْ) بمعنى (لا).

فالملاحظ أن كلمة (مَعْ) أصلها (ما) النافية -بالألف اللينة- ولعلها تطورت عن طريق النبر، بقلب الألف همزة كما هو واقع فى بعض اللهجات القديمة والحديثة على سواء، فقد ورد عن بعض العرب الفصحاء نطق بعض أصوات اللين همزة، مثل: حليت السويق يقولون: حلأت، ورثيت زوجى يقولون: رثأت وعليها بعض القراءات القرآنية فى مثل: ﴿وَلَا الضَّالِّينَ﴾ [الفاتحة: ٧] - ﴿لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌّ﴾ [الرحمن: ٥٦، ٥٧] تقرأ: (ولا الضألين) -(ولا جأن) بنبر الألف همزة.

ويلاحظ ذلك فى بعض اللهجات الحديثة، فالقاهريون يقولون فى (لا) النافية (لأ) بنبر الألف همزة.

وقد سلك الرجل البدوى مسلكًا آخر حين انتقل من نبر الهمز إلى القلب عينًا[1] مبالغة فى تفخيم الصوت وارتفاعه ليتناسب مع خلاء الصحراء الواسع، ولهذا نظائر فى لهجة صعيد مصر الحديثة، فهم يقولون فى (لا) النافية: (لع).

وهذا يوضح ما تنطوى عليه لهجة صنعاء من آثار الحياة البدوية التى كان يحياها بعض أهلها من قبل.

وقد حللنا ذلك فى إحدى المقالات اللغوية التى نشرناها عن تلك اللهجة فى جريدة الثورة اليمنية عام ١٩٧٤م.

---

(١) يقلب الصنعانى الهمزة أحيانًا إلى عين مثل (بدع) فى (بدأ). انظر: بحث الأستاذ أحمد حسين شرف الدين فى مجلة (الدارة) ص ١٢٨.

ولعل هذا مما يفسر الانتقال من السهل إلى الصعب، ويؤكد أن قانون السهولة ليس مطردًا كما ذكر الدكتور إبراهيم أنيس، وعلى الباحث أن يبذل قصارى جهده للكشف عن أسباب أخرى لأية حال مخالفة لهذا القانون.

ومن هنا نفهم سر تحويل الهمزة إلى صوت لين والعكس فى لهجة صنعاء.

ويمكن -على هذا الأساس- أن نفسر «همز ما ليس أصله الهمز»[1] فى العربية الفصحى، مثل قولهم: حلأت السويق، ولبأت بالحج، ورثأت زوجى، قال ابن السكيت: «وقالوا: حلأت السويق، وإنما هو من الحلاوة وقالوا: لبأت بالحج وأصله: لبيت... وقالت امرأة: رثأت زوجى بإثبات الهمز».

فالتفسير العلمى لهذه الظاهرة -فى نظرنا- أن هذا الهمز- كما نسمع فى صنعاء- ناشئ عن طبيعة الحياة البدوية، فهى لهجة البدو التى تتسم بهذه السمة من الفرقعة والصخب، وتميل إلى الشدة فيما يتفوه به من أصوات، وليست للمبالغة أو التفصح أو الحذلقة عن طريق القياس الخاطئ كما يذهب بعض الباحثين المحدثين[2].

الباء: لاحظنا أن الباء تنطق عربية فصيحة، فى اللهجة الصنعانية، وقد سمعت الصنعانى يحول الميم إلى باء، بطريق الإبدال، حين يحاول تذكر اسم شىء غاب عن ذهنه فى أثناء الكلام مثل قوله: إدّى لنا مقلى -بِسمِه- فول حامى[3]- إنهم- بِسمِه- جؤسيس[4].

وهذا النطق خاص بحالة نسيان اسم شىء، وهى عادة فى كلامهم، ويشيع مثل ذلك فى لهجة الرياض بالمملكة العربية السعودية بطريقة أخرى حين نسمع أهلها يقولون: (إيش اسمه).

بيد أننا نلاحظ أن الصنعانيين ينطقون الفعل (سمى يسمى) دون أن يأتوا قبله بالباء التى يتوقع أن تكون بدلاً من الميم هنا.

---

(١) انظر إصلاح المنطق لابن السكيت فقد عقد فصلا بهذا العنوان ص ١٥٨.

(٢) مجلة كلية اللغة العربية بالرياض -العدد الخامس- من رأى للدكتور رمضان عبد التواب ص ١٥٥، ١٥٦.

(٣) جاء لنا بمقلى -ما اسمه؟ -فول ساخن.

(٤) إنهم -ما اسمهم؟ -جواسيس.

والتعبير الأول -كما يبدو- تحولت فيه الميم التى هى جزء من (ما) الاستفهامية إلى باء، فكلمة (بسمه) أصلها: (ما اسمه؟!)، فصارت: (باسمه) بقلب الميم باء، ولما أمالوا ما قبل هاء الضمير -كما هى عادتهم- تأثرت فتحة الباء -المنقلبة عن الميم- بكسرة الحرف الذى قبل الأخير فأبدلت كسرة، وهذا ما يعرف لدى علماء الأصوات المحدثين، بالتأثر الرجعى، أو المدبر، وهو جزء من قانون المماثلة المشهور فى علم اللغة.

وهذا يوافق ما روى عن قبيلة مازن العربية الفصيحة قديمًا من أنها كانت تقول: (باسمه؟) فى: (ما اسمه؟).

فالذى نجده فى لهجة صنعاء، يثبت صحة ما نقل إلينا عن هذه القبيلة العربية ومن تابعها فى إبدال الميم باء.

ويحاول اللغويون المحدثون أن يفسروا ذلك بما يسمى بالقياس الخاطئ، أو الحذلقة اللغوية، فقبيلة مازن -مثلاً- كانت تقلب الباء ميمًا، والميم باء، -فيما روى عنها- فى مثل: بكر ومكر، بوضع الميم مكان الباء، والعكس، ويتساءل الدكتور رمضان عبد التواب عن السبب الذى كان يدعوها لقلب كل من الصوتين إلى صاحبه ثم يقول: «الظاهر أن الأمر لم يكن كما رواه اللغويون العرب تمامًا، وأن هذه القبيلة إنما كانت تقلب الباء ميمًا، فحسب، أى أنها كانت ترخى الطبق أو سقف الحنك الرخو عند النطق بالباء فيتسرب الهواء إلى الأنف، فتبدو الباء كالميم، غير أن الرجل من مازن عندما كان يريد محاكاة اللغة الأدبية، لغة الشعراء، والخطباء فى ذلك الوقت، كان يحاول إرجاع الميم إلى نطقها الأدبى وهو الباء، ويبالغ فى ذلك إلى درجة يطغى معها على صوت الميم القديم كذلك، فيحوله فى نطقه، إلى باء، حذلقة منه، ومبالغة فى التفصح، وهنا يظهر لمن يسمعه فى كلامه اليومى، وكلامه الأدبى، كأنه يقلب الباء ميمًا، والميم باء»[1].

وهذا التحليل لا تؤيده دلائل علمية أكيدة، ولعل الظاهرة لم تكن من قبيل القياس الخاطئ، أو الحذلقة اللغوية، فلم يثبت ذلك فى لهجة صنعاء، بل هى

(١) مجلة كلية اللغة العربية بالرياض العدد السابق ص ١٥٥.

مجـرد اختيار لصـوت الباء، وإبداله من الميم لسهـولته فالميم صوت يحـتوى على الغنة، وهى تحتـاج إلى جهد عـضلى، على حين أن البـاء لا تشتمل عليـها -مع اتحادها مع الميم مخرجًا- فيسهل النطق بها بدلاً منها.

التاء: تتـبادل التـاء مع الثاء، والدال، والزاى، والطاء، فى مـواقع معـينة من الكلمات.

فقد لوحظ أن صوت التاء إذا وقع فى ألفاظ العدد يفخم بحيث يصبح طاء لدى السـمع، مـثل: ثلطـعش -أربعطعش- خـمـسطعش- سطـعش- سـبـعطعش- ثمنطعش- تسعطعش[1].

كما لوحظ -أيضًا- أن التاء تنطق دالاً أحيانًا، مثل: (المدكا)[2]- أصله: المتكأ- و(تدشع)- أصله: تتجشأ.

وتنقلب زايًا فى مثل: (زارة) -بمعنى: تارة.

كما لوحظ تحول الدال إلى تاء إذا سكنت أو سكن ما بعدها، مثل: (التيمة)[3] -أصله: الديمة- و(التفتر)- أصله: الدفتر- و(قد) و(شر قد)[4] بنطق الدال تاء.

ج ت ج ت

وهذا التطور خاضع لقوانين صوتية يسير وفقها.

فتحـول الثاء إلى تاء، وإدغامـها فيهـا، قائم على قانون السهـولة، والمماثلة، والتفخيم.

فـالسهـولة تتـمثل فى أن الـثاء من الأصـوات الرخـوة، والتاء من الأصـوات الشديدة، والصـوت الشديد أسـهل نطقًا من الصـوت الرخو، فالشـديد لا يكلف مجهودًا عضليًا كبيرًا، بخلاف الرخو الذى يحتاج إلى مزيد من الجهد، وبذل القوة فى النطق، يقول الدكتور أنيس: إنه قـد يكون أسهل على المرء وهو يجرى بأقصى

(١) ثلاثة عشر -أربعة عشر- خمسة عشر- ستة عشر- سبعة عشر- ثمانية عشر- تسعة عشر.

(٢) المجلس.

(٣) المطبخ.

(٤) سأرقد.

سرعته أن يصطدم بحائط أمامه من أن يحاول الوقوف قبل الحائط بمسافة قصيرة، وكذلك اللسان قد يسهل عليه الاصطدام بالحنك والالتقاء به التقاء محكمًا ينحبس معه النفس -وهو ما يكون مع الأصوات الشديدة- من أن تقف حركته عند مسافة قصيرة من الحنك، ليكون بينهما مجرى يتسرب منه الهواء كما يحدث فى الأصوات الرخوة»[1].

فتحول الثاء إلى التاء يؤدى إلى الاقتصاد فى المجهود العضلى، وهذه طبيعة الرجل البدوى، الذى يحاول دائمًا التقليل من هذا الجهد.

والذى دعا إلى هذا الإبدال هو قانون المماثلة المشهور الذى ينبنى على أن الأصوات المتجاورة يتأثر بعضها ببعض، فلو تجاور صوتان من مخرج واحد أو من مخرجين متقاربين، واختلف أحدهما عن الآخر فى بعض الصفات كالجهر والهمس، أو الشدة والرخاوة فإن التفاعل بينهما يدعوهما إلى التماثل، فى المخارج أو الصفات، وهذا يدعو إلى قلب أحدهما إلى صورة الآخر، ليتحد معه، فإذا ما كان الاتحاد تامًا بينهما سموا ذلك بالتأثر الكلى، وإذا كان فى بعض النواحى دون بعضها الآخر سموه بالتأثر الجزئى[2].

والواقع أن التأثر -هنا- فى كل الخصائص الصوتية، فقد قلبت الثاء تاء فاتحدتا مخرجًا، وصفة، ثم سكن الصوت الأول، وأدغم فى الثانى، فيدخل تحت ما يسمونه بالتأثر (الرجعى).

وتأتى عملية التفخيم بعد الإدغام.

ويبدو أن ذلك التفخيم ناشئ عن قانون المماثلة -أيضًا- فقد تجاورت التاءان المدغمتان مع العين، وهى حرف استعلاء يقتضى تفخيم الأصوات المجاورة له، فأدى ذلك إلى اتجاه التاء إلى نظيرها المطبق، وهو الطاء، على الصورة التى نسمعها من الناطق الصنعانى.

---

(١) الأصوات اللغوية ص ١٧١.

(٢) مجلة كلية اللغة العربية بالرياض العدد الخامس ص١١٢، ١١٣ والعدد السادس ص١٣٣، ١٣٤.

وقد اتجه إلى طريق المماثلة -كذلك- قولهم: (المدكأ) -فى المتكأ- فالتاء -كما نعلم- صوت مهموس، وقد تجاور مع صوت الميم المجهور قبلها، وهما متقاربان مخرجا، فالشفتان للميم، وأصول الأسنان للتاء، إلا أنهما يختلفان فى الجهر، والهمس، فالانسجام الصوتى يقضى بقلب التاء دالاً حتى يكونا مجهورين، وذلك أسهل لنطقهما، و«لتزداد -مع مجاورتها- قربها فى الصفات والمخارج»[1] وهذا التغير تقدمى.

وكذلك قولهم (تدشع) -فى تتجشأ- فالتاء المهموسة مجاورة للجيم المجهورة، فقلبت دالاً لتماثلها فى الجهر، ثم تحولت الجيم إلى دال لتتجانس مع سابقتها، وأدغمت فيها فصارت كما ترى، وهذا كله نابع من الانسجام بين الأصوات، وكثيراً ما يفعل ذلك أرباب البادية، لميلهم إلى إدغام الأصوات، وإدخال بعضها فى بعض.

ويقرب من هذا نطق أهل الصعيد فى مصر الجيم دالاً، فيقولون فى (جاموسه): داموسه، وفى (جمل): دمل.

وكذلك قلب التاء زايًا فى (زارة) -بمعنى: تارة- فلما كانت التاء مهموسة، وتجاورت مع الراء المجهورة، ناسب قلبها زايًا مجهورة لتكون موافقة للراء فى الجهر، وقريبة من التاء فى المخرج، وهذا خاضع لقانون المماثلة السابق.

أما تحول الدال إلى التاء -فى الأمثلة السابقة- فقد تم فى بعضها نتيجة مبدأ المماثلة -أيضًا- كما فى كلمة (الدفتر) التى تنطق (التفتر) إذ إن الدال -كما نعلم- مجهورة، والفاء والتاء مهموستان، ولابد للانسجام الصوتى من التماثل بينهما فى الصفات، فحولت الدال المجهورة إلى نظيرها المهموس وهو التاء، إذ إنها من مخرج الدال، وتحمل صفة الهمس التى تتفق بها مع الفاء والتاء بعدها، فتحقق الانسجام الصوتى، وهذا التأثر يعد رجعياً أيضًا.

ويلاحظ إدغام اللام فى التاء المبدلة من الدال، وذلك جائز لتقارب المخارج، وقد أدى قانون المماثلة إلى تحول اللام إلى تاء وإدغامها فيها.

---

(١) الأصوات اللغوية ص ١٠٦، وانظر الكتاب ٢/ ٤٢٦ والخصائص ٢/ ١٤٤.

وفى بعض الأمثلة -كالديمة- حيث تنطق: (التيمة) يبدو أن قانون المخالفة قد عمل عمله، إذ إن الأصوات الثلاثة: (د-ى-م) مجهورات -تهز الأوتار الصوتية هزاً يتوالى بعضه وراء بعض- وذلك قد يؤدى إلى بذل جهد عضلى كبير، والبدوى -كما نعلم- يريد أن يقتصد ما استطاع، فحول الصوت الأول إلى تاء مهموسة، ثم إن صوت الياء يترك للهواء حرية المرور إلى حد ما، فالانتقال منه إلى صوت الميم -مع ما فيه من الذلاقة (الخفة) يجعل النطق سهلاً.

ومع ذلك فقد تحولت الدال إلى صوت من مخرجها، وهو التاء يفقد صفة الجهر ذات الطابع المحتاج لهز الأوتار بشدة.

ويمكن أن نعلل بذلك قلب الدال تاء فى (قد) ونحوها.

ونخرج من ذلك بنتيجة عامة هى أن الإبدال بين التاء والأصوات السابقة يدل على طبيعة البادية، وميل أهلها إلى السهولة، والاقتصاد فى الجهد العضلى، ولذا ماثلوا بين الأصوات، وأدغموها، بخلاف سكان المدن الذين يعطون كل صوت حقه من الجهد، فطبيعتهم تميل إلى فصل الأصوات ونطق كل منها بوضوح كامل.

الثاء: لاحظنا أن هذا الصوت ينطق صحيحًا حتى الآن، فى صنعاء، والكلمات التى تشتمل عليه لا نحس فيها بتغير، اللهم إلا فى الكلمات الخاصة بالأعداد المركبة، كما ذكرنا فى صوت التاء.

الجيم -الحاء- الخاء: لا يلاحظ تغير فى هذه الأصوات، حال التركيب، فهى باقية بنطقها الذى أشرنا إليه فيما سبق، ما عدا الجيم فى كلمات قليلة مثل (يدشع) حيث قلبت دالاً بالتفصيل الذى أوضحناه فى حديثنا عن إبدال التاء.

وكذلك قلب الجيم شينًا، فالصنعانيون ومن جاورهم ينطقونها شينًا عند مجاورتها للتاء مثل: يشتمع فى (يجتمع)، ويخضع هذا التغيير لقانون التأثر بالمجاورة، فالجيم مجهورة والتاء مهموسة، فزادوا تعطيش الجيم ومالوا بها ناحية

الرخاوة بعد أن كانت شديدة، وحولوها إلى شين مهموسة، وهذا التأثر رجعى.

ولأنهم يميلون إلى رخاوة بعض الأصوات الشديدة فقد قلبوا الجيم شينًا -أيضًا- فى كلمة (وجهه) فينطقونها (وشِه)[1].

الدال: لاحظنا فى حديثنا عن التاء أنها تتبادل مع الدال، وحللنا ذلك من الناحية الصوتية.

ونتحدث -هنا- عن انقلاب الدال- فى بعض الكلمات نتيجة تأثر الأصوات بعضها ببعض -إلى أصوات (الذال- الطاء- الظاء).

انقلابها إلى الذال:

إذا وليت الدالَ ذالٌ وكانت ساكنة تبدل ذالاً، ثم تدغم فى الذال بعدها، مثل: عذّا عيجى[2] ـ قذّا، إذ أصل (عذّا): عاد ذا، وأصل (قذّا): قد ذا[3] فحصل ج
الإبدال والإدغام.

ولذلك ما يسوغه من الناحية الصوتية، فقد تجاورت الدال ـ وهى من طرف اللسان مع أصول الأسنان ـ مع الذال ـ وهى من طرف اللسان أيضًا مع أطراف الثنايا ـ والدال شديدة والذال رخوة، فانتقلت الدال إلى مخرج الذال واتحدت معها، فى الرخاوة، ثم أدغمتا، وهذا لون من ألوان الانسجام الصوتى الناشئ عن نظرية المماثلة المعروفة، ويقع فى العربية الفصحى، فأنت تقول: قد ذهبت إلى صديقى: ويقرأ به فى القرآن الكريم كقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيراً مِّنَ الْجِنِّ وَالإِنسِ﴾ [الأعراف: ١٧٩].

---

(١) انظر -أيضًا- مجلة (الدارة) ص ١٢٩.

(٢) سيجىء.

(٣) نظام تكوين الأفعال وتركيب الجمل فى لهجة صنعاء له بحث خاص سننشره فيما بعد إن شاء الله تعالى.

انقلابها إلى الطاء:

لوحظ ذلك فى بعض الحالات التركيبية التى تتأثر فيها بأصوات الحلق والتفخيم والإطباق، مثل قولهم فى (غدوة): (غطوة) وفى (عبد الله): (عبط الله) وفى: (مبردة): (مبرطة) ـ بمعنى باردة ـ وفى (الرصده[1]): (الرصطة) وفى (صدق): (صطق). وفى (الصدرة)[2]: (الصطرة).

وإبدال الدال طاء راجع إلى قانون المماثلة، فقد سبقت الدال بالعين، والغين، وهما من أصوات الحلق المستعلية التى يرتفع اللسان معها إلى سقف الحنك، كما أنها سبقت فى بعض هذه الأمثلة بالصاد وهى إحدى أصوات الإطباق التى تدعو إلى ارتفاع اللسان، وصيرورته كالطبق والدال صوت مستفل لا يرتفع معه اللسان، فاتجهت إلى الاستعلاء والإطباق، بإبدالها طاءً تحقيقًا لمبدأ الانسجام والتماثل الصوتى، ويدخل ذلك تحت التأثر التقدمى، ـ يسميه علماؤنا القدماء «تقريب الصوت من الصوت» ويشبه ذلك فى اللهجات الفصيحة طريقة العرب فى تحويل السين إلى صاد فى مثل: سبقت وصبقت. ـ يساقون ويصاقون، ـ المسيطر والمصيطر ـ سراط وصراط، ونحو ذلك، لأن القاف والطاء مستعليتان تقتضيان تفخيم ما يجاورهما من الأصوات فلذلك قلبت السين صادًا على حد ما نرى فى الفصحى، والتأثر فى الأمثلة الفصيحة التى ذكرناها تأثر رجعى.

والتفخيم فى (عبط الله) لمناسبة اللام المفخمة، وفى (مبرطة) لمناسبة الراء المفخمة أيضًا، وهذا خاضع لمبدأ التجانس بين الأصوات على ما سبق بيانه.

وكل ذلك يمثل مظهرًا بدويًا للهجة.

انقلابها إلى الظاء:

من أمثلته المسجلة كلمة (قظكاه» وتفسير هذا النطق أن أصل الكلمة السابقة:

ج

(قد ذاك هو) فقلبت الدال ذالاً لسكونها، ووقوع الذال بعدها، تحقيقًا للماثلة

---

(١) الطريق المعبدة.

(٢) قميص يلبسه القضاة فى اليمن.

والانسجام الصوتى، ـ على حد ما ذكـرنا سابقًا ـ ثم إن المعهود عند أهل صنعاء أنهم يفخـمون الذال فى اسم الإشارة إذا أرادوا الدلالة على بعد المشـار إليه، ولذا تبدو الـذال فى نطقهم مـفخمـة وكأنهـا صوت الظاء، ولما قلـبت (دال قد) ذالاً، وأدغمت فى (ذال اسم الإشارة) بعدها انقلبت معها مرة أخرى إلى صوت الظاء.

الذال: رأينا أنهـا قد تفـخم فتنطق ظاء فى اسم الإشـارة للبعـيد، مـثل قظكاه فيقـولون: هظاك فى (هذاك) كما أنها قد تحـول إلى دال فى قولهم: (هِدَار) بدلاً من (هذر الكلام) وهو ما لا يعتد به.

الراء: ينطق هذا الصوت ـ كما ذكرنا ـ فصيحًا، وهم ـ كذلك ـ يستخدمونه مرققًـا، ومفخمًا فى مواقـعه الصحيحـة عربية «فالراء تفخم إن فـتحت ولم تسبق بكسـر أو لم يقع بعدها كـسر[1] فى مثـل، رجّال[2] ـ الرصـده، ويرققونـها إذا سكنت بعد كسر، أو وقعت متطرفـة، بعد ياء، أو تحركت بالكسر فى مثل: سرنا ـ عنسير[3] ـ ابسره[4] ـ السترة[5] ـ مدرى[6] ذرِه[7].

فهذه نماذج توضح أنهم يسلكون فى هذا السبيل مـسلك العربية الفصحى، وإن كانت الألفاظ التى تقع فيها الراء، قد تغيرت عن المنهج المستقيم فى العربية.

الشين: تقلب إلى زاى فى مثل: (الزرقـة) بدل (الشرقة) أى شـروق الشمس، فيقولون: قبل الزرقة، بمعنى: قبل شروق الشمس.

ج

كما يلاحظ أنها تبدل من السين فـى حرف التنفيس مثل: شارح لى أى سأروح بمعنى: سأذهب، ـ وشاسمعك أى سأسمعك[8].

ويبـدو أن إبدالهـا من الزاى تم للماثـلة، فالراء بعـدها مـجـهورة، والشـين مهموسة، فأبدلت بنظيرها المجهور وهو الزاى.

---

(١) التجويد والأصوات ٧٦.

(٢) رجل.

(٣) سنسير.

(٤) أبصره.

(٥) المعطف.

(٦) ما أدرى.

(٧) هو الذرة النبات المعروف.

(٨) هذا للمتكلم المفرد فقط.

والحقـيقة أن السين والشـين متباعـدتان فى المخرج، فالشـين من وسط اللسان، والسين من طرفه، فلا يسوغ الإبدال بينهـما، ولعل ذلك تم فى اللهجة على أساس اتفاقـهما فى بعض الصـفات كالهـمس والرخاوة، ولما بينهمـا من علاقة صـوتية، فللشين التـفشى، وللسين الصفـير، وهما متـشابهان، وقد حدث ذلك الـتبادل فى اللغات السامـية فكلمة (شمس) فى العربيـة هى (שֶׁמֶשׁ) فى العبرية، وفى التعريب والنقل عن اللغات الأجنبية يبدو ذلك مثل دست وهى بالفارسية دشت[1].

الصاد: يميل الصنعانى إلى استفال الأصوات بـدلاً من استعلائها، فينطق الصاد سينًا فى مثل (أبسر) - بدلاً من (أبصر) و(يسغى) - بدلاً من (يصغى) و(يسرخ)- بدلاً من (يصـرخ)- ومع أن بعض النمـاذج التى سـقناها تشـتـمل على أصـوات تقتضى التفخيم للأصوات المجاورة لها، مثل: الغين، والخاء، فإنه يتجه بها ناحية الاستـفال والأصوات المنفـتحة، ولعل هذا حـدث نتيجة الـتراخى فى نطق بعض الأصوات وعدم الاهتمام ببذل الجهد اللازم لها، كما هو الحال فى بعض اللهجات الحديثة الأخرى فنحن نلاحظ ذلك فى لهجات مصر الدارجة.

أما ما نـسمعه من مظاهر التـفخيم الأخرى فى لهـجة صنعاء فلا يـزال علامة واضحة على سلوك اللهجة البدوى.

كما تنقلب الصاد إلى زاى مثل: زغيـر وزغار -فى صغير وصغار- ويزقع -فى يصقع بمعنى يسر-.

وهنا نلاحظ تأثر الصاد بما بعدها من الغين والراء، والقاف والعين، فهى أصوات مجهورة فـلا بد أن يكون لها تأثير على صوت الصاد المهموس، فـتحوله إلى النظير المجهور وهـو الزاى، وهذه الزاى -حقاً- مفـخمة إلى حد مـا، لكنها لا تصل إلى المدى الذى يوجد فى بعض اللهجـات العربية الحديثة كاللهجـة المصرية، حتى نسمع فيها: زغير -الزغار- فى صغير والصغار- بصورة تقترب من نطق الظاء[2].

---

(١) شفاء الغليل ص ٧ والمزهر ط عيسى الحلبى ١/ ٢٧٢-٢٧٤.

(٢) مجلة كلية اللغة العربية بالرياض -العدد الخامس ١٢٤.

وهذا الانسجام بين الأصوات واقع فى العربية الفصحى، فالصاد إذا وقع بعدها صوت مجهور -كالدال مثلاً- فإن الصاد تقلب إلى زاى مفخمة، مثل: يزدق- فى يصدق- قال ابن السكيت: «والعرب تقول: ازدق بمعنى: اصدق، ولا يقولون: زَدَق»[1].

غير أن الملاحظ -هنا- أن القلب خاص بالصاد الساكنة، وذلك معروف عند قبيلة طيئ، كقولهم: هذا فزدى أنه -فى فصدى أنا- وقرئ: «حتى يزدر الرعاء» -فى ﴿حَتَّىٰ يُصْدِرَ الرِّعَاءُ﴾ [القصص: ٢٣]-[2].

ولعل لهجة صنعاء تؤكد أن هذا القلب يمكن أن يحدث دون وجود الدال طالما وجد مع الصاد صوت مجهور كالغين أو القاف أو الراء أو نحوها.

الطاء: إن قانون السهولة هو الذى دفع الصنعانيين إلى نطقها فى بعض الكلمات دالاً للتخفف من الإطباق كقولهم: دبيخ -فى طبيخ- وهذا مما يؤكد ميل اللهجة إلى الاستفال، إذ إن الكلمة السابقة تشتمل على صوت الخاء المستعلية فالأنسب بقاء الطاء بها، كما فى العربية الفصحى، لكن إبدالها دالاً يؤكد الحقيقة المذكورة.

الكاف: حينما يستخدم هذا الصوت لخطاب المؤنثة فإنهم يبدلونه شينًا، فيقولون: زوجش -لش- الله يسامحش. (بدلاً من: زوجك -لك- الله يسامحك).

وهذا يدل -كذلك- على أنهم يتخلصون من الأصوات الشديدة ويميلون إلى الأصوات الرخوة، فالكاف صوت شديد، فأبدلوه بصوت رخو وهو الشين.

وإن هذا النطق الذى نسمعه من الصنعانيين -وهو قلب الكاف فى خطاب المؤنثة شينًا- هو الذى قرأناه فى كتب اللغة للهجة المصطلح على تسميتها بالكشكشة، فبعض قبائل العرب الفصحاء كانوا يقلبون كاف المؤنثة شينًا أو يزيدون شينا بعد الكاف، فى الوقف فقط، أو فى الوقف والوصل على سواء[3].

---

(١) القلب والإبدال ص ٤٥.

(٢) الإبدال لأبى الطيب اللغوى ٢/١٢٦-١٢٨.

(٣) انظر كتابنا (العربية) ص ٧٢ وانظر ص ١٤٧ وما بعدها من هذا الكتاب.

ونلاحظ فى بعض مناطق المملكة العربية السعودية ما يتفق مع ذلك كمنطقة عسير حيث يقولون -أبوش- أمش (فى أبوك -أمك).

بيد أننا نلاحظ فى منطقة نجد العربية بروز هذا الصوت فى خطاب المؤنثة على هيئة (تاء وشين)، أو (تاء وسين) -تش- تس- فيقولون: امتش -امتس- أبوتش- أبوتس.

وهذه الظاهرة التى تعرف بالكشكشة أو الكسكسة قد اتسع نطاقها فى لهجات نجد فامتدت إلى كافات أخرى ليست للمؤنث مثل قولهم: تسيف حالك -فى كيف حالك؟ -وتسم- للاستفهام والإجابة فى ظروف لغوية كثيرة.

وانقلاب الكاف إلى شين يخضع لقانون الأصوات الحنكية، وقد وصل إليه العلماء فى مقارنتهم اللغة السنسكريتية باللغة اليونانية واللاتينية، فى أواخر القرن التاسع عشر، ولاحظوا أن أصوات أقصى الحنك كالقاف والجيم الخالية من التعطيش -كالجيم القاهرية مثلاً- تميل بمخرجها إلى نظائرها الأمامية، حين تليها فى النطق حركة أمامية كالكسرة لأن هذه الحركة الأمامية فى مثل هذه الحالة تجتذب إلى الأمام قليلاً أصوات أقصى الحنك، فتنقلب إلى نظائرها من أصوات وسط الحنك، ويغلب أن تكون هذه الأصوات الجديدة من النوع المزدوج أى الجامع بين الشدة والرخاوة»[1].

ونحن لا نلاحظ فى لهجة صنعاء ازدواج الصوت المبدل، بل نجده شينًا خالصة، وطرد الظاهرة فى كاف غير المونث كانت معروفة فى القديم، كما نقلت لنا كتب اللغة فيما عرف باسم (الشنشنة) وهى قلب الكاف مطلقًا شينًا كما فى قول اليمنيين القدماء (لبيش اللهم لبيش)- فى لبيك اللهم لبيك- ونحو ذلك[2] لكنها لم تعهد فيما تجرى عليه بعض اللهجات الحديثة من مخالفات.

اللام والنون:

تدغم اللام والنون فى لهجة صنعاء، فيقال: (قنا) مكان (قلنا).
ج

(١) مجلة كلية اللغة العربية بالرياض -العدد الخامس- من مقال للدكتور رمضان عبد التواب ص ١٦٣ وانظر: اللهجات العربية. د. أنيس ص ١٢٣.

(٢) اللهجات العربية .د. نجا ص٨٣ وانظر بحث الأستاذ أحمد حسين شرف الدين السابق فى مجلة الدارة ففيه ذكر ألوانًا من النطق لهذا الصوت فى اليمن وغيرها ص ١٣٤.

والملاحظ أنهما من مخرج واحد، هو طرف اللسان مع اللثة العليا، ومتفقان فى معظم الصفات، كالجهر، والتوسط بين الشدة والرخاوة، غير أنهما يختلفان فى مجرى الهواء، فالهواء -مع اللام- يخرج من الفم، ومع النون يتجه إلى طريق الأنف، «بسقوط أقصى الحنك ليسد فتحة الفم، ويتسرب الهواء من التجويف الأنفى، محدثًا فى مروره نوعًا من الحفيف لا يكاد يسمع»[1].

والذى يحدث أن صوت اللام يتحول إلى نون، ثم يدغم فى النون وهو إدغام جائز للتقارب بين الصوتين، وهذا النطق بالإدغام من طبيعة القبائل التى ترغب عن الفصل بين الأصوات، وهى القبائل البدوية، وقد سرى ذلك فى كثير من اللهجات الحديثة، كاللهجة المصرية التى يبدو فيها هذا الإدغام فى مثل هذه الكلمة.

ومثل هذا الإدغام يقع فى العربية الفصحى، فقد عرفنا من الدراسات الصوتية أن الانسجام بين الأصوات يؤدى إلى الإدغام -أحيانًا- كما يحدث فى التقاء الحرفين المتجانسين- وهما اللذان اتحدا مخرجًا واختلفا صفة -ويدخل فيه التقاء اللام والنون فى مثالنا السابق- ويشترط للإدغام سكون الحرف الأول منهما، ويتجلى ذلك فى قراءة آيات من كتاب الله العزيز مثل قوله تعالى: ﴿وَقَالَت طَّائِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ آمِنُوا بِالَّذِي أُنزِلَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَجْهَ النَّهَارِ وَاكْفُرُوا آخِرَهُ﴾ [آل عمران: ٧٢] -﴿قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ﴾ [البقرة: ٢٥٦] فنجد التاء قد أدغمت فى الطاء -بعد تحولها إليها- والدال قد أدغمت فى التاء بعد تحولها إليها كذلك.

ومثل هذا الإدغام جائز - أيضًا - بين الحرفين المتقاربين مخرجًا وصفة كالدال والسين فى قوله عز حكمه: ﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا﴾ [المجادلة: ١]، والذال والجيم فى قوله سبحانه: ﴿إِذْ جَاءُوكُم مِّن

(١) التجويد والأصوات ص ٩٩.

﴿فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ﴾ [الأحزاب: ١٠] واللام والراء فى قوله جل شأنه: ﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِى عِلْمًا﴾[1] [طه: ١١٤].

وهذا يبين أن لهجة صنعاء، ومثلها سائر اللهجات العربية الحديثة تجرى فى فلك الفصحى، وتسير على نهجها، وتخضع للقوانين التى تحكم التطور الصوتى فيها.

****

(١) التجويد والأصوات ص ١٠١ وقد لوحظ أن اللام تقلب دالاً فى كلمة واحدة هى لكم فيقال فيها دكم. انظر مجلة (الدارة) ص ١٣٥.

٢- الصوائت

لا ريب أن أصوات اللين فى لهجة صنعاء،اعترتها تغيرات كثيرة، باعدت بينها وبين الفصحى، بانتقال بعضها إلى بعض، وتحولها إلى أشباه أصوات اللين فى مواقع معينة، وتبادلها ـ أيضًا ـ مع بعض الصوامت.

وتحكم هذه التغيرات قواعد وأصول لغوية، ومناهج اعترف بها علم اللغة الحديث.

وسنعرض هذه الظواهر، ونلقى الضوء على أسبابها اللغوية، والبيئية، والاجتماعية ونوضح علاقتها باللغة العربية الفصحى.

فانتقال أصوات اللين بعضها إلى بعض يكون بإمالتها حينًا وإطالة قصيرها وتقصير طويلها أحيانًا أخرى، ويقع ذلك كثيرًا فى اللهجة.

فعندما نقارن نطق الصنعانى لبعض الكلمات، بالنطق العربى الفصيح لها، نرى أنه يحاول الميل بحركة إلى أخرى حتى يقرب من قلبها إليها، كالانتقال من الفتحة إلى الكسرة أو الضمة وهكذا باقى الحركات ينتقل من إحداها إلى الأخرى.

ومن هنا نشأت عدة حركات فرعية، بين الحركات المنتقل عنها، والحركات المنتقل إليها، وتتلخص فى التالى:

١- فتحة ممالة نحو الكسرة.

٢- ضمة ممالة نحو الكسرة.

٣- فتحة ممالة نحو الضمة.

٤- كسرة ممالة نحو الضمة.

٥- ضمة ممالة نحو الفتحة.

٦- كسرة ممالة نحو الفتحة.

ويمكن أن نجد الأمثلة الكثيرة على هذه الأنواع:

فإمالة الفتحة نحو الكسرة: تجرى فى الحركات القصيرة، والطويلة، على سواء. فهم يميلون الفتحة القصيرة قبل (هاء) التأنيث، وتلك قاعدة تكاد تكون عامة، عندهم، ولعل لذلك أصلا فى كتب النحو، فهاء التأنيث تمال الفتحة قبلها فى الفصحى[1].

ومن أمثلة ذلك قول الصنعانيين: زغيره (صغيرة) ـ واحدِه ـ دِجاجِه ـ ورْطِه ـ ستّه ـ تسعِه ـ عشرِه[2].

كما تمال الفتحة الطويلة (الألف) نحو الياء فى مثل:

لكن - هكذا - سرنا - أنا.
ى ى ى ى

وإمالة الحروف، والأسماء التى تشبهها غير سائغة فى المشهور من قواعد اللغة ولكن النحاة أجازوا إمالة الضمير (أنا)، ويمكن أن نقول: إن الصنعانيين خرجوا على القواعد حين أمالوا بعض الحروف. والأسماء التى تشبهها.

ومن تحول الضمة إلى كسرة أو إمالتها نحوها: شِرْب (فى شُرب) ـ بِنى (فى بُنَى) ـ والبِنِيّة (فى البُنَيَّة) ـ هِنْ (فى هُن).

وربما كان الانتقال من الضمة إلى الكسرة ميلاً منهم إلى تجانس الحركات وتخلصًا من بذل جهد كبير، بإخراج الضمة وإيضاحها.

كما أنهم يميلون الحركة الواقعة قبل (هاء) ضمير المفرد الغائب ـ فتحة كانت أو ضمة - بالاتجاه بها نحو الكسرة، مثل: مالِه - ملكِه - أبَسرتِه (فى أبصرتَه).

والمعهود من قواعد اللغة إمالة الفتحة قبل ضمير المفردة الغائبة (ها) دون إمالتها قبل ضمير الغائب[3] وكأن الصنعانيين لم يميزوا بينهما، وفى ذلك - كسابقه - ميل إلى السهولة والاقتصاد فى الجهد العضلى.

---

(١) أوضح المسالك مع المنار ٣/ ٣٥٧.

(٢) لا يفرق الصنعانيون فى هذه الإمالة بين الحلقى وغيره.

(٣) أوضح المسالك مع المنار ٢/ ٣٥٧.

والإمالة التى تقرب بين الأصوات عادة بدوية ـ كما نعلم.

ونحن نلاحظ أن الانتقال من الفتح أو الضم إلى الكسر، كان يتم إما عن طريق الإمالة التى تخضع للقاعدة التى أشرنا إليها، أو عن طريق التجانس بين الحركات التى تأخذ شكل كسرات متتابعة، على الرغم من وجود بعض حروف الحلق التى تفضل الفتحة المناسبة لها فى الفصحى، ونجد أمرها ـ هنا ـ على العكس من ذلك بالميل إلى الكسرة، للتناسب الذى يريده الصنعانى، ليحقق اتفاق الحركات فتسهل عملية النطق بصورة يراها ملائمة لطبعه.

أما الفتحة الممالة نحو الضمة، والكسرة الممالة نحو الضمة: فيمكن أن نمثل للأولى منهما بقولهم: ظُهر لى - استقضُى - الطاقُه - طُلَعت - البُقرى - صُرْفو[1] - سوُى[2].
ج ج ج

ويمكن أن نمثل للثانية بقولهم: قُصة (فى قِصة) - لُص (فى لِص).
ج

وإمالة الفتحة أو الكسرة إلى الضمة معروف عن العرب الفصحاء، إلا أنها تقع فى مواضع لا تتفق مع ما نلاحظه فى لهجة صنعاء[3] فما يجرى فيها له وجهة أخرى ذات طبيعية اجتماعية خاصة.

فالتحول الذى نراه فى هذين الاتجاهين دليل على بقاء الطبيعة البدوية فى لهجة صنعاء، وتزول غرابة ذلك لو أدركنا أن مدينة صنعاء تحيط بها عدة قرى كحدة وعصر والروضة وغيرها، ثم إن القبائل تزحف على المدينة من شتى بقاع اليمن لأهمية العاصمة منذ القديم، ولذا فإن كثيراً من الناطقين باللهجة يتصلون بالبوادى، والمقيمون فى صنعاء وإن تأثروا بالحضر فإن صلاتهم بذويهم تبقى على لسانهم مظاهر النطق البدوى، مما يجعلنا لا نستغرب إذا رأينا الاتجاه إلى الضم الذى هو مؤشر الخشونة البدوية.

---

(١) معناها: صرف الله عنك الشر.

(٢) كلمة يقولونها بمعنى: نحن على اتفاق.

(٣) انظر بحثنا فى مجلة كلية اللغة العربية بالرياض - العدد السادس - ص١٤٤، ١٤٥ وتمال أصوات الاستعلاء دائما إلى الضم فى لهجة صنعاء. انظر مجلة (الدارة) ص١٣٩ وانظر ص ١٧٣ وما بعدها من هذا الكتاب.

ويوجد كذلك الاتجاهان الآخران: **ضمة ممالة نحو الفتحة، وكسرة ممالة نحو الفتحة.**

فمثال الأولى قولهم: هانا (فى: هنا) ـ أخطا (فى: أخطو) ـ أنفاسنا (فى: أنفسنا) التِكبّار (فى: التكبّر).

ومثال الثانية: ما نجاد (فى: ما نجد) ـ تهداد (فى: تهديد) ـ فساحة (فى: فسيحة)

وهذان النوعان من الإمالة لا يوجد لهما نظائر فى الفصحى، وإن وجد فى بعض اللهجات الحديثة[1] ويظهر أن النبر كان طريقًا سلكته اللهجة الصنعانية فى الوصول إليهما، ونلاحظ أن الحركات القصيرة قد طالت نتيجة لذلك.

وكل ما ذكرنا. يؤكد أن الحركات جميعًا ينتقل بعضها إلى بعض.

ونحن نلاحظ أن هذه الأنواع من الإمالة ـ فى لهجة صنعاء ـ خروج بالأصوات عن طبيعتها الفصيحة ـ فى الكلمات المشار إليها - إلى أوضاع أخرى جديدة لا تعرفها العربية، وهى ـ بهذا الاتجاه ـ انحراف ظاهر غير مستقيم، لأنها لا تتفق مع المأثور عن أسلافنا.

بيد أن لنا ملاحظة أخرى ذات دلالتين:

أولاهما:

أن الصنعانى - فى تحوله من الصوائت الفصيحة إلى غيرها - فى نطق الكلمات السابقة - سلك طرائق العرب الفصحاء، فى الانتقال من صوت إلى صوت، فقد أمال الفتحة، والضمة إلى الكسرة، والفتحة والكسرة إلى الضمة، والضمة والكسرة إلى الفتحة، وهى أنواع يجرى معظمها فى قواعد العربية ونظمها الصوتية الفصيحة[2].

ثانيتهما:

أن أسباب الإمالة المعروفة لنا فى الفصيح تكمن وراء الاتجاه الصنعانى فالتناسب بين الأصوات، وتجانسها، واضح فى أنواع الإمالة السابقة، وذلك موروث عن العرب الفصحاء، فإننا نعلم أن السبب الرئيس الذى حدده علماؤنا القدامى للإمالة

(١) لهجة البدو فى إقليم مريوط ص٤٩.

(٢) انظر بحثنا فى مجلة كلية اللغة العربية بالرياض العدد السادس ص١٤٤- ١٤٦.

هو التناسب[1] وما ذكره المحدثون من رجوع الإمالة إلى طبيعة الحياة العربية يتمثل فى لهجة صنعاء. فالإمالة - كما نعلم - خلط بين الأصوات، يؤدى إلى الإسراع فى النطق والسهولة، وذلك طريق من طرق البدو يستعملونه فى محاوراتهم، وكلامهم ولا يهمهم الفصل الدقيق بين الأصوات، لأنه يحتاج إلى جهد عضلى كبير، وروية وأناة وتلك خصيصة من خصائص الحضر[2].

ومن هنا نستطيع أن نستنتج أن الإمالة التى عرفها علماء اللغة القدامى ونسبوها إلى قبائل شرقى الجزيرة ووسطها تنسب ـ كذلك ـ إلى قاطنى صنعاء، فإذا عرفنا أن الصنعانيين عرب وفد أغلبهم من بادية اليمن تأكدنا أن الإمالة من طبيعة سكان البادية فى جنوبى جزيرة العرب، ولا تقتصر على وسطها، وشرقيها، وإذا صح النقل والنسبة إلى هذا الجزء فقط فيما ورد لنا من العربية الفصيحة قديمًا، فإن هذا البحث الحديث يشير إلى أن رواة اللغة تركوا جزءًا كبيراً من ثروة اللغة العربية وتراثها حين لم يرووا لنا كثيراً عن عرب اليمن القدماء.

وعلى الرغم من هذا الخلط بين الحركات فإن الصنعانى يميل إلى فصل أصوات اللين بعضها عن بعض، فى مثل: بَيت ونَوم ومَوت[3] وأشباهها.

وملاحظتنا لذلك فى كلامه تؤكد البقايا الفصيحة فى اللهجة.

والمعروف أن نطق الصوائت - فى العربية الفصحى - له مدة يستغرقها، ويقدرها القراء على حسب طرائقهم، وهم ينظرون إلى هذه الأصوات بحسب وقوعها فى الكلمات والأصوات السابقة عليها أو التالية لها.

فحروف المد (واى) تمد مداً طبيعياً - بمقدار حركتين[4] ويسمى هذا المد «المد الأصلى» وهو الذى يكون تعبيراً عن النطق الطبيعى للصوت دون مؤثرات عليه كما فى قوله تعالى: ﴿يَا قَوْمَنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ﴾ [الأحقاف: ٣١][5].

---

(١) انظر بحثنا فى مجلة كلية اللغة العربية بالرياض العدد (السادس) ص ١٤٧، ١٤٨.

(٢) المصدر السابق ص١٥٠.

(٣) لكنه أحيانًا يخرج على تلك القاعدة فيميل الحركات فى مثل: كيف حالك؟

(٤) الحركة بمقدار قبض الإصبع أو بسطه.

(٥) يستثنى مما ورد فى الآية صوت المد فى (نا) فهو متأثر بالهمزة الواقعة بعده.

وتمد مداً يستغرق مدة أطول ـ أحيانًا ـ وهو ما يسمونه، «المد الفرعى» لتفرعه فى طلب المد[1] وذلك إذا وقعت بعد هذه الأصوات همزة، أو تلاها سكون كما فى قوله تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ﴾ [المؤمنون: ١٨] ـ ﴿فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّىٰ تَفِيءَ إِلَىٰ أَمْرِ اللَّهِ﴾ [الحجرات: ٩] ـ ﴿وَلَٰكِن قُولُوا أَسْلَمْنَا﴾ الحجرات: ١٤] - ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ﴾ - ﴿فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ ﴿٢٤﴾ لِّلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ﴾ [المعارج ٢٤] - ﴿الْحَاقَّةُ ﴿١﴾ مَا الْحَاقَّةُ﴾ [الحاقة: ١، ٢].

وفى حالة اتصال الهمز يمد بمقدار ثلاث حركات إلى ست حركات، وفى حالة الانفصال يمد بمقدار حركتين إلى ست[2].

وإن التعود على إعطاء أصوات المد حقها فى النطق يعتمد أساسًا على التلقين والمشافهة، ويقوم على المران الطويل.

وتعلم اللغات -بعامة- يكتسب أيضًا بالمران، لمعرفة أصواتها وطرائق نطقها، وخواصها، وواجب علماء اللغات أن يوضحوا طرائقها، والزمن الذى يستغرقه نطق كل صوت فيها، ليمكن إتقان تعلمها، وقد حدث ذلك فى بعض اللغات كالإنجليزية[3].

وقد أثبت علماء اللغة المحدثون أن الأصوات الصامتة -فى العربية- تستغرق زمنًا أقل من الزمن الذى تستغرقه الأصوات الصائتة، وعند حديثهم عن طول الصوت اللغوى يضعون الصائتة فى المقدمة، ثم يضعون الصامتة مرتبة فيما بينها بنظام خاص[4] وقد تحدثوا عن العوامل التى تؤثر فى طول الصوت اللغوى، كالنبر والتنغيم، والتأثر بالمجاورة[5].

---

(١) التجويد والأصوات من ٨٩، ٩٠.

(٢) المصدر السابق ص ١١٧، ١١٨.

(٣) من ذلك -مثلاً- أن صوت (d) إذا وقعت مستطرفة فى الإنجليزية يستغرق حوالى (٥, ٠) من الثانية وصوت (A) يستغرق حوالى (٤٣, ٠) من الثانية. انظر: التجويد والأصوات ص ٨٨ والأصوات اللغوية ص ١٠٤.

(٤) التجويد والأصوات ص ٨٨، ٨٩ والأصوات اللغوية ص ١٠٤ وما بعدها.

(٥) التجويد والأصوات ص ٩٠، ٩١ وكتابنا: الصوتيات اللغوية ص ٣٣٨ وما بعدها.

لكن الذى نلاحظه -فى لهجة صنعـاء- أن الحركات القصيرة قـد تطول، نتيجة النبر، كما رأينا فى قولهم: أنفاسنا (أنفسنا) -نجاد (نجد).

ولو حاولنا أن نتتبع إطالة الحركات القصيرة فـيها لوجدناه كثيراً مثل، قوم -إذا أريد الأمر- فتـثبت الواو- أنتى، فقد أشبعـت كسرة الضمير فـتحولت إلى ياء - المخزان، فأطيلت الفتحة على الزاى إلى أن صارت ألفًا.

ومع أن لهجة صنعـاء تشترك فى بعض هذه الأمثلة مع بعض اللهجـات العربية الحديثة، والقديمة[1]، فإن الاتجاه السائد فيهـا أن الضغط على مقطع معين يؤدى إلى إطالة أصوات اللين بالصورة التى نجدها واضحة فى لسان الصنعانيين.

كما يلاحظ أنهم يقصرون الحركات الطويلة -أحيانًا- مثل قولهم: حَرَم (حرام) -ذِك (ذاك) -أبِه (أبى)- الأوله (الأولى).

وفى التراكـيب خضعت بعض أصوات اللـين فى لهجة صنعاء لتـغيرات كثـيرة نتيجة للمؤثرات التى اقتضتها البيئة التى اختلفت كثيراً عن بيئة أجدادنا الفصحاء.

فصيغة الفـعل الماضى الأجوف المهموز المسند للضمير -كمـا سيأتى أن نتحدث فى القسم الخاص ببنية الـكلمات -قد اختلفت وتغيرت، وتبعًـا لذلك تغير صوت اللين، فالصنعانى إذا أسند الفعل (جاء) إلى المؤنثة، أو جماعة الذكور يقول: جِت جَوْا فنلاحظ أن الألف حذفت - فى الحالة الأولى، -ولم يبق فى الحالة الثانية إلا الفتحة القصيرة.

ونلاحظ -كذلك- أن الواو التى كانت مداً (ضميـر جماعة الذكور) قد انقبلت إلى شبه صائت، إذ قد ترتب على حذف الهمزة حذف حركتها معها، فبقيت الواو ساكنة بعد فتحة، فتحولت فى نطقها إلى طريقة تختلف عنها فى الفصيح.

فأصـوات اللين الطويلة ارتبك اسـتعـمالها ارتبـاكًا بينًا، فـفى معظم تـراكيب الكلمات والجمل تمسخ إلى أصوات أخرى قصيرة أو محرفة.

---

(١) انظر كتابنا (العربية) ص ٨٩

ولعله قد تـأكد لك الآن أن أسبـاب إطالة الحركـات عند الصنعانيـين يعود إلى النبر، وكراهة توالى الحـركات التى تؤدى إليه، ومعظم أسباب التـقصير يرجع إلى سرعة النطق البدوى.

أما تحول الصوائت إلى أشباه السواكن: فله أمثلة منها قولهم: يُوَقّفْهِنْ (يُوقفهُنّ) فقد حول الصنعانى الضمـة الطويلة إلى قصيرة، وأنتج واوًا، ومثل: (الجُبَى)[1] - بقلب الألف ياء- (عَلىْ صياح) (أصلها: علا صياح).

ولعل الأول من اللحن العامـى الذى اعترى اللهجـة، أما الثانى والثـالث فمن قبيل التأثر بالأصوات المزدوجـة التى يميلون إليها كثيرًا، ويحاولون تطبـيقها بصور يمكن أن تسمى بـ(الحذلقة اللغوية)[2].

وتحويل الأصـوات اللينة إلى أصـوات صامـتة: يظهر أنه تم وفـقًا لقـانون لغوى مشـهور معـروف بتفاعل الأصـوات، وهو تأثرها بما قبلها أو بعـدها فيمـا يسمى بالمماثلة والمخالفة.

ومن المماثلة ما ينطقه الصنعانى فى مثل: (زقزقى) (فى زقاق) فقد حول الألف زايًا، ولعل ذلك نـوع من المماثلة بين الصـوت المبـدل وبين الصـوت الأول من الكلمة، حتى يبدو التناسق بين جزءيها.

ومن المخالفة ما نـسمعه من قوله: (لا حال بك شر) فـأبدل من إحدى اللامين فى الفعل «حلّ» ألفًا، وقوله (تحيـذق) أصله: (تحذّق) -أى كن حاذقًا- فأبدل من إحدى الذالين ياء، وقوله: (نغسول) فأصلـه -على ما يبدو- نغسّل، فأبدل إحدى السينين واوًا.

ففى الأمثلة المتقدمة تخلص من أحد المضعـفين بقلبه إلى صوت لين. تبعًا لمبدأ المخالفة المشهور[3].

---

(١) السقف.

(٢) اللغة (فندريس) ص ٨٠.

(٣) انظر بحثنا فى مجلة كلية اللغة العربية بالرياض العدد السادس ص ١٣٣- ١٣٥.

وبعد:

فإن هذه الظواهر الصوتية تؤكد أن أهالى صنعاء لا يزالون يحملون بعض سمات أجدادهم فى تمسكهم ببعض الصفات اللغوية التى امتازت بها بيئتهم القديمة إلى جانب تأثرهم بالأحداث الاجتماعية، ونظم الحياة المتجددة وتطاول الأزمان، واختلاطهم بالأجناس البشرية العديدة، فانحرفت بعض الأصوات على لسانهم وتطورت على النحو الذى رأينا.

وهذا البحث وأمثاله يحقق نتائج خطيرة فى الدراسات اللغوية، يستعين بها علم اللغة الحديث فى معالجة التغيرات اللغوية التى اعترت العربية الفصحى، فى كثير من أقطار الوطن العربى، فتشخيص الظواهر اللهجية، وإدراك أسبابها، وخصائصها يؤدى إلى وضع العلاج الناجع لها، ولعل ذلك -كما نأمل- يسهم فى عودة الفصحى إلى التخاطب الشعبى، كما كانت فى سابق العصر والأوان.

ولا ريب أن دراسة لهجة صنعاء -بعامة- والجانب الصوتى منها -بخاصة- على درجة كبيرة من الأهمية فى هذا الاتجاه، الذى يرجى منه -بعون الله- انتشار الفصحى، وذيوعها، ولا سيما أن علماء اللغة والباحثين فى اللهجات قد اهتدوا إلى بعض أسباب الانحراف فى نطق الأمة العربية، ونحن نستطيع أن نستخلصها من دراستنا السالفة ونلخصها فى الآتى:

١ - الاختلاف فى نطق الأصوات الصامتة:

فنحن قد لاحظنا أن الصنعانيين ينطقون القاف جيمًا قاهرية، كما ينطقون الكاف شينًا فيما نعرف باسم (الكشكشة) فى خطاب المؤنث مثل (لكِ) يقولون فيها (لش)، وكما فى صوت الضاد الذى تحول إلى ظاء.

وهذا الاختلاف موجود فى سائر اللهجات العربية الأخرى، فالقاف تنطق جيمًا أو همزة فى مصر، فيقال: فى نطق (قال): (جال -آل)، كما تنطق الضاد بطريقة تختلف عن العربية، فتنطق فى مصر من طرف اللسان مع أصول الثنايا العليا، بعد أن كانت من أحد جانبى اللسان، أو من كلا الجانبين، كما انحرفت أصوات

صامتة كثيرة هناك، فالثاء قد تحولت إلى تاء أو سين، والذال قد تحولت إلى زاى أو دال، وفى الرياض -بالمملكة العربية السعودية- نسمع القاف جيمًا قاهرية -كذلك- كما فى قولهم: جال -فى قال- ونسمع الذال دالاً من بعض الحجازيين القاطنين بها كقولهم هدا فى هذا وهكذا.

٢- الاختلاف فى نطق أصوات اللين:

فقد رأينا فى لهجة صنعاء أن الحركات تتبادل، ويحل بعضها محل بعض كما نلاحظ فيها أن أصوات اللين الطويلة تقصر فى بعض الأحيان فيقال: (قلّى) - (جَبْلى)- قال لى -جاء لى بكذا- وهو موجود فى اللهجة المصرية الدارجة، كذلك تمال بعض أصوات اللين مثل (عائشة) ففتحة الشين قد أميلت نحو الكسرة فى لهجة صنعاء، على حين تمال الألف نحو الياء فى بعض اللهجات العربية الأخرى.

وهذا يعنى أن أصوات اللين قد انحرف نطقها على الألسنة العربية.

٣- الاختلاف فى موضع النبر:

وهذا يبدو واضحًا فى طريقة النطق الصعنانى، التى تتسم بالسرعة والضغط على مقطع معين، بدرجة تختلف قليلاً أو كثيراً عن نظيره المنبور من الكلمة نفسها حين تنطق فى شتى الأقطار العربية.

فلو أمكننا الاهتداء إلى معالجة هذا الانحراف، بعد تشخيص ظواهره الصوتية المتعددة، إلى جانب ضبط التغيرات المعنوية لوصلنا إلى درجة معقولة فى طريق توحيد اللهجات العربية، ويمكن -بالإضافة إلى ذلك- تقوية العوامل الموحدة للهجات، كوسائل الإعلام، والثقافة والتوجيه التربوى، وتعميق اللقاءات العربية، بين أبناء تلك الأمة التى كتب الله لها أن تكون واحدة فى كل شىء؛ عقيدتها، وأهدافها، ونواحى حياتها، وهى واصلة إلى ذلك بإذن الله.

****